ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1068 - الجمعة 24 ربيع الأول 1425 هـ - الموافق 14 ماي 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

أرحم الخلق بالخلق

بمناسبة الاحتفال بالذكرى الأولى لميلاد ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن حفظه الله ورعاه، يسر علماء المغرب الذين كرمهم أمير المؤمنين بإطلاق اسمه الشريف على رابطتهم، أن يرفعوا أحر تهانيهم وأصدق أمانيهم إلى السدة العالية بالله بهذه المناسبة المجيدة، سائلين الله عز وجل، أن ينبت الأمير الجليل مولاي الحسن نباتا حسنا ليكون خير خلف لخير سلف، في كنف والده جلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره، محفوظا بالسبع المثاني والقرآن الكريم، وأن يحفظ أمير المؤمنين بما حفظ به الذكر الحكيم، ويشد أزره بشقيقه السعيد الأمير مولاي رشيد، وسائر أفراد الأسرة المالكة، إنه سميع مجيب.

وجوب الطاعة لولي الأمر

لقد منّ الله علينا نحن المغاربة بأن جعل قيادتنا بأيدي آل البيت من الأشراف العلويين الذين شرفوا بقيادتهم الحكيمة شعبنا المغربي الذي برهن عن وفائه الكامل وحبه المطلق للدوحة النبوية الشريفة ولسلالة سيد المرسلين خليفته أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس دام له العز والنصر.

إن الاحتفاء بمولد المصطفى جد ملكنا المعظم هو في اتباع ما جاء به من عند رب العالمين إذ يقول الكتاب المنزل على أفضل البشرية آمرا ولاحا على الطاعة لولي الأمر حيث قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" فإذا نحن طبقنا ما يدعو له الكتاب والسنة نكون سلكنا الطريق السوي والسبيل الأسلم وعملنا بما يجب علينا أن نشخصه في سلوكنا اليومي. فلنسلك ما سلكه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في متابعتهم للنبي عليه الصلاة والسلام.

فعن جنادة بن أبي أمية قال: (دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال: دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله...).

وعن جرير بن عبد الله قال: (بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة).

إن تماسكنا يكمن ولا شك في التفافنا حول سيدنا دام عزه وعلاه الذي نحتفي بذكرى جده صلى الله عليه وسلم والتي تزامنت من يمن الطالع مع ذكرى ميلاد ولي العهد الأمير الجليل المحبوب مولاي الحسن أنبته الله نباتا حسنا، فتوالت الأعياد وتلاقت المسرات وتضافرت البشائر ببروز هاته المناسبات التي تحمل في طياتها معاني سامية ومغازي هادفة تترجم طاعتنا الصادقة لله ولرسوله ولولي الأمر.

فلنخلص لبيعة أمير المؤمنين ولد سيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وبيعتنا له قطع للعهد على الالتزام بالسمع والطاعة والخضوع في كل ما يأمر به لمصلحة الدين والدنيا قال تعالى: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما". وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني).

فعلينا أن نطبق ما جاء في الكتاب والسنة ولا نكثرث بأي رأي معاكس لأننا مسلمون ولله الحمد. ثبتنا الله على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

والســـــلام.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل القضائي في الإسلام

-9-

في العدد الماضي تعرضنا للعدل القضائي في الإسلام على عهد الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ونظرا لقصر مدة خلافته واهتمامه بالحروب التي تسبب فيها المرتدون عن الإسلام ومانوا الزكاة فقد رأينا أنه اقتصر في حياته على ما كان يمارسه هو من فصل الخصومات التي ترفع إليه وما كان ينوب عنه فيها بالمدينة المنورة سيدنا عمر بن الخطاب الذي ظل يجلس بالمسجد النبوي لمدة سنتين، ولم يأت خصمان في نزاع، واقتصر الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تعيين أنس بن مالك قاضيا على البحرين، ولو أطال الله حياته لاستعمل سلطته في تعيين عدد آخر من القضاة في الأمصار الإسلامية.

بعد بداية خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعهد من الخليفة الأول أعطى اهتماما كبيرا لشؤون الدولة ونشر الإسلام في بقية الأقطار القريبة والبعيدة ففتحت في عهده العراق والشام ومصر، ولم تمض على خلافته سنوات قليلة حتى انتهت سلطة الامبراطورتين الفارسية والرومانية.

واتساع الرقعة الإسلامية وبعد المسافة بين العاصمة المدينة والأقطار التي دخلت في الإسلام واختلاف العادات، والتقاليد والنظم الاجتماعية التي كانت تلك الأقطار تعمل بها، جعل الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفكر بعمق في مآل هذه المجتمعات، وأمر بإدخال تغييرات على أنماط الحياة لتستجيب للدين الجديد من جهة ولأسلمة ماعندها من نظم اقتصادية واجتماعية وسلوكية حتى تكون الحياة الاسلامية في عمقها دون أن تتعارض مع المنهج الإسلامي والتوجيه الديني.

وتميز الفكر العمري وعهد الخلافة العمرية بتوسيع النظرة العامة للحياة الاجتماعية واستيعاب التجمعات الجديدة التي تدخل إلى الإسلام وتقبل عليه بقلوب احتلها الإيمان فاخلصت له ونزل ضيفا عليها الإسلام فاكرمت وفادته، وانضمت إلى القيادة الاسلامية في كل شيء، واستوجب الفكر العمري هذه الشعوب ووضعها في موقعها، فكانت هذه المجموعات لمن ثبت الله اقدامها في الإسلام ونصر بها الدين وقوى بها مواقع الإيمان.

ومن التوجهات الجديدة العمرية في نظام السلطة أنه قرر فصل السلطة القضائية عن السلطة الإدارية للولاة والعمال في الأقاليم والمناطق البعيدة، بل وفي بالمدينة المنورة عن قضاة لمزاولة الفصل في الخصومات والتخصص في إقامة العدل بين الناس عن طريق فصل المنازعات التي ترفع إليهم طبقا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما استقر عليه الرأي الصائب.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرفي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

اهتمام التجيبي بمعالم مكة وفضائلها

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ في رحلتنا مع رحالتنا التجيبي يتبين أن الرجل كان حريصا على الاستفادة من رحلته، فهو لايمر مرورا عابرا بالمكان الذي يحل به، بل يسأل ويبحث ويتأكد مما يراه أو يقال له، وهو أحيانا يعود إلى بعض المصادر إن أسعفته الظروف بذلك، له ذاكرة قوية تسعفه بتذكر ماسمعه من شيوخه منذ فترات طويلة، أو ماقراه في كتب السير والتاريخ، فيما مضى من الأيام، واسع الاطلاع، حريص تمام الحرص على تسجيل كل مايراه مفيدا، لا في تخصصه فقط الذي هو الحديث وعلومه، بل في سائر ميادين المعرفة، يقارن ويرجح، ولايقف من الأحداث والآثار والمعالم، مجرد ناقل، أو مجرد واصف يصف مايراه فقط، بل يبحث عن البدايات، وعن الدواعي والأسباب...

وفي مكة المكرمة التي وصلها وقد برح به الشوق، وأنساه تعب الطريق، وأهوال البحر، والمخاطر والشدائد ... كل ذلك هان عليه، وقد حقق هدفه الأول بالوصول إلى بيت الله الحرام، ولثم الحجر الأسعد، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، وزيارة معالم مكة ذات التاريخ العظيم المفعم بالعظائم والسمو، كل شيء في مكة يجعله قريبا من الله تعالى يجد نفسه أمام أول بيت وضع للناس، ومقام ابراهيم وموطن اسماعيل، ومولد خاتم الأنبياء والمرسلين، ومسرح السابقين الأولين من المؤمنين والمؤمنات، ومهبط جبريل على سيد الخلق أجمعين...الرجل منبهر بهذه الإيحاءات والأنوار الساطعة التي تتزاحم عليه أينما ولى وتجه، وحيثما جال بنظره وفكره تغمره أنوار قدسية، وتاريخ حافل بأمجاد الإيمان، وإشراقات الروح... في مكة نجده يطوف بين المعالم الإيمانية، كل واحدة منها يحتاج الوقوف عندها إلى تأمل عميق، وتفكير طويل، ولأسرار ربانية اختار الله هذا الموقع لأشرف بقعة على وجه الأرض، بين ثلاثة جبال تحتضن المكان وتشرف عليه، تعددت أسماء مكة وأوصافها، وهي أم القرى جديرة بكل إجلال وتعظيم...

يقول: "واختلف هل مكة وبكة بمعنى واحد... وقيل بل هما اسمان بمعنيين، ويقعان على شيء واحد.

فمكة بالميم لقلة مائها، من قولهم إمتك الفصيل أمه إذا استخرج ما في ضرعها، وقيل بل لجهد أهلها، يقال مككت العظم إذا أخرجت سحه، وفي الحديث:

"لاتمككوا على مالكم، وقيل لأنها تمك الذنوب أي تستخرجها، وتذهب بها كلها...

وبكة بالباء، لأنها تبك أعناق الجبابرة، أي تذلهم وتدق أعناقهم، فما قصدها جبار إلا وقصمه الله. ولعله يشير إلى قصة أبرهة وأصحاب الفيل. وقيل بل لباك الناس بأقدامهم أمام البيت، أي ازدحامهم...

وأم القرى، سميت بذلك لأن فيها بيت الله تعالى، واطردت العادة بأن بلد الملك وبيته المتقدم على الأماكن يسمى أماً، لأن الأم متقدمة. أي في الوجود عن المولود.

والباسة: بالباء الموحدة، لأنها تبس من ألحد فيها، أي تحطمه، وقيل تبسهم أي تخرجهم منها، وقيل الباسة، من بسّت الجبال بسّاً، أي فتت...

والبيت العتيق: قيل: هو اسم الكعبة خاصة...

وكوثى، بضم الكاف والثاء، على وزن فُعْلَى، سميت باسم بقعة بها كانت محلة بني عبد الدار، وأما التي ورد أن الدجال يخرج منها فهي. أي كوثى. المدينة التي ولد بها ابراهيم عليه السلام فيما يقال، وهي بالعراق، ويقال لها كوثى ربيا، بفتح الراء المهملة بعدها باء موحدة، ثم ياء.

والناسة، بالنون والسين المهملة، من نسست الشيء إذا أذهبته، سميت بذلك لقلة الماء بها، والنسّاسة، بالنون أيضا وسينين مهملتين، وصلاح، والعرش، بوزن بدر، وقيل العرش، بضم العين والراء، حكاه عياض السبتي رحمه الله تعالى.

والقادس: من التقديس وهو التطهير لأنها تطهر الذنوب"

وحكى الزبيدي في مختصر العين، أن تهامة اسم مكة، والصحيح أن مكة من تهامة وتهامة ماساير البحر من نجد، ونجد ما بين الحجاز إلى الشام إلى العذيب".

وهكذا بحث التجيبي عن أسماء مكة المكرمة وعن معاني هذه الأسماء، شارحا، ومصححا...ليقول بعد ذلك:

"ولمكة ثلاثة أبواب: الأول باب المعلى، وهو عند الثنية المعروفة، بكداء، بفتح الكاف والمد، ومنه يخرج إلى المقبرة الموصوفة بالبركة، يأتي ذكرها. وعليه طريق منى وعرفات، والطائف، والعراق، ويقال أن بثنية كداء المذكورة، كان وقوف ابراهيم عليه السلام، حين دعا لذريته، بأن قال: "فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم" ابراهيم/37 فاستجيب له دعوته، وقيل له: "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق"الحج/27 الا ترى كيف قال: يأتوك رجالا، ولم يقل يأتوني، لأنها استجابة لدعوته عليه السلام، فمن ثم والله أعلم استحب لمن أتى مكة أن يدخلها من كداء، لأنه الموضع الذي دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفئدة الناس تأوي إليهم.

والباب الثاني باب المسفل، وعليه طريق أهل اليمن، ومن خرج منه إلى اليمن يمر على كدي بضم الكاف وتشديد الياء... وأنشدوا لابن قيس الرقيات:

"أقفرت بعد عبد شمس كداء
فكدي فالركن فالبطحاء

هو يقصد بني عبد شمس العامريين.

والباب الثالث: باب العمرة، ويعرف بباب الشبيكة، باسم بئر هنالك، وكان قديما يعرف بباب الزاهد، وعليه طريق مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدة، والشام، ومنه يتوجه إلى التنعيم، والتنعيم أقرب الحل إلى مكة، شرفها الله تعالى ، بينه وبينها ثلاثة أميال، وحدود الحرم تختلف في القرب والبعد...

فالتجيبي على عادته في التدقيق والتثبت من المعلومات، يذكر الأبواب وأسماءها والأحداث المتعلقة بها، والجهات التي تؤدي إليها، ويذكر حدود الحرم من جهاتها المختلفة، واختلافها في المسافات، ويذكر أسباب هذا التباين في حدود الحرم في خبر طويل إلى أن يقول: "وقد قيل إن ابراهيم عليه السلام هو أول من نصب حدود الحرم، ثم جددها قصي، ثم لما كان يوم فتح مكةأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم بن أسد جد عبد الرحمن بن عبد المطلب بن تميم الخزاعي، فجددها، وفي خلافة عمر (رضي الله عنه) بعث أربعة من قريش وهم: مخرمة بن نوفل، وسعيد بن يربوع، وحويطب بن عبد العزى، وأزهر بن عون فجددوها، ثم بناها عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقال إن معاوية جددها أيضا، ثم زاد في تحسين عمارتها عبد الملك بن مروان رحمه الله..."

فرحالتنا رحمه الله ينقل لقارئ رحلته معلومات مفيدة عن هذه البقاع المكرمة، ليجعله مستفيدا من قراءتها، ومتشوقا لزيارتها والتبرك بنفحاتها... والحقيقة أن هذه المعلومات يحتاج الاطلاع عليها إلى مزيد من الوقت والبحث، وإلى معرفة المصادر والمظان، والتجيبي يقوم بذلك إفادة لقارئ رحلته.

ثم يقول: "وفضائل الحرم الشريف ومكة المعظمة أكثر من أن تحصى، ولم يزل الحرم قط معظما في الجاهلية والاسلام، وكان الرجل يلقى فيه قاتل وليه فلا يروعه، لما ركب الله تعالى في قلوبهم من تعظيم البقعة، وتفضيل الموضع على غيره من الأرض المشابهة له في الصفة بهذه الخصيصة، حتى أنه يقال: إن الكلب الجارح لايروع الطيربه، وهذا من آيات الله تعالى فيه، قال تعالى : "ومن دخله كان آمنا" (آل عمران/97) وروينا في صحيح البخاري بإسنادنا العالي المتصل إليه المذكور في غير موضع من هذا التقييد من طريق أبي الوقت عن البخاري رحمه الله تعالى باسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، لاهجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم، فانفروا، وهذا بلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة، لايعضد شوكه، ولاينفر صيده، ولاتلتقط لقيطته، إلا من عرفها، ولايختلى خلاه، قال العباس يارسول الله، إلا الإذخر، فإنه لقيونهم، ولبيوتهم، قال، إلا الأذخر" والخلى مقصور هو الحشيش، وإذا مد فهو المكان الخالي. القيون: الحدادون.

وقال صلى الله عليه وسلم في حق مكة فيما رواه الليث عن عقيل، عن الزهري، عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري، قال: رأيت رسول الله واقفا على الحزورة، وقال: والله لأنك خير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ماخرجت:

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب". والحديث رواه ابن ماجة في كتاب المناسك، ورواه النسائي ... قال التجيبي وهذا الحديث من الأحاديث الصحيحة التي خرجها الدارقطني الإمام، وذكر أن البخاري ومسلم أغفلا تخريجه في كتابيهما على ماشرطاه، وفي حديث أبي هريرة قال: فلما قدمنا مكة أتته الأنصار، وهو صلى الله عليه وسلم قائم على الصفا، فجلسوا حوله، فجعل يقلب بصره في نواحي مكة، وينظر إليها ويقول: "والله لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله وأكرمها على الله، ولولا أن قومي أخرجوني ماخرجت".

وهذا الحديث رواه التجيبي من عدة طرق بأسانيدها التي رواها عن شيوخه، وتفنن في ذكرها وتعدادها، مما دل على غزارة معرفته بالحديث، وعلى سعة اطلاعه، واهتمامه به، وأتى بعدة آثار في فضل مكة، وأنها مجمع الأولياء، وبلد الرحمة والبركة، يقيم بها الأقطاب، ويسكن بها الغوث الذي تقضى حوائج العامة بدعائه، ويقول: "قرأت في كتاب تاريخ دمشق حماها الله، من تأليف الحافظ أبي القاسم بن عساكر رحمه الله، الذي أخبرنا به إجازة في الجملة من مدينة القيروان الشيخ الإمام أبو زيد الأنصاري عن أبي التقى صالح بن شجاع بن محمد عن أبي القاسم المذكور، ويذكر سند ابن عساكر إلى عبيد الله بن محمد الغيشي، قال: سمعت الكتاني يقول: "النقباء ثلاثمة، والنجباء سبعون، والبدلاء أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد، فمسكن النقباء المغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء، ثم النجباء، ثم الابدال، ثم الأخيار، ثم العمد، فإن اجيبوا، وإلا ابتهل الغوث، فلاتتم مسألته حتى تجاب دعوته" ويختم هذا العرض الذي اقتطفنا منه ماذكرناه بأبيات شعرية قال عنها أنشدنا الفقيه الامام العلامة النسابة... شرف الدين التوني .... سبق ذكره فيمن التقى بهم من الشيوخ بالقاهرة.

يوم بمكة خير من مضي سنة
بغيرها تنقضي باللهو أو بسنة
فلا القلوب إلى الأهواء مائلة
ولا النفوس بكسب الإثم مرتهنة
ولا الفقير مع الإملاق ذو جزع
ولا الغني بحامي الناس ما احتجنه
ولايمر على من لا طباخ له
أقل من لحظة لايقتني حسنة
ولايذمهم أو من يساكنهم
إلا الغوي الذي جد العلى رسنة

هكذا تكون مكة المكرمة قطب الروحانيات، ومحط الرحمات، ومركز استجابة الدعوات، ومفتاح أبواب الرجاء لنيل الرضوان والفوز بالجنات.

(تتمة ص: 1)

وعند مراجعة الحياة القضائية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه نجد عددا من الأسماء أسند إليها مهمة القضاء.

ففي المدينة المنورة استعمل أبا الدرداء ثم استعمل يزيد بن سعيد الكندي، والسائب بن يزيد، وزيد بن ثابت.

وفي الكوفة والبصرة استعمل شريح بن الحارث وإياس بن صبيح والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن مسعود.

وفي الشام عين أبا عبيدة بن الجراح ومعاذ ابن جبل وفي مصر عين قيس بن أبي العاص السهمي وعثمان بن قيس، وكان رضي الله عنه يغير لبعض القضاة المناطق التي يعملون بها لقدرتهم على مواجهة خصومات شعوبها بالحكمة والقدرة على الإقناع بالقبول بالحكم القضائي.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن تسجيل الأحكام كتابة لم يكن جرى العمل به لكون الخصوم كانوا يقبلون ماحكم به القاضي دون منازعة وينفذون أمره حينا عن طواعية واختيار لأنه أمر الشرع والقضاء ولا مجال للطعن ورفض التنفيذ، وكان موقع القاضي في هذه الفترة هو مسجد الجماعة والجلسة علنية يحضرها كل من دخل المسجد لأداء الصلاة حتى يزداد علما وفقها وتربية إسلامية على العدل والحق.

وقد نقل عن الإمام مالك قوله أن معاوية بن أبي سفيان أول من عين القضاة وفصل المهمة عن الإمارة، وهو قول ناقشة عدد من الباحثين والمؤلفين منهم ابن عبد البر في ترجمة زيد بن الخطاب كما نقل ذلك الأستاذ سحنون في كتابه رسالة القضاء لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصفحة 78 واتى بعدد من النقول التي تثبت أن ماورد عن الإمام مالك قد يكون مخصوصا بالمدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، ومع هذا التخصيص فإننا رأينا الخليفة الأول أبا بكر الصديق يعين عمر بن الخطاب ليتفرغ لمهمة القضاء بين الناس بالمدينة المنورة.

بل وجدنا في المصادر التاريخية للقضاء الإسلامي من قال بأن أبا جعفر المنصور العباسي كان أول الخلفاء الذين عينوا القضاة في الأمصار، وأبو جعفر المنصور تولى الملك أيام العباسيين سنة136 هجرية بعد أخيه أبي العباس، ويمكن تعليل هذا الأمر بأن أبا جعفر في الدولة العباسية هو الذي استأنف تعيين القضاة في الأمصار والأقاليم تبعا لما كان في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعد هم.

وفي العدد المقبل إن شاء الله نتابع تاريخ العدل والقضاء أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الوثاق

التماس الرشد في مجاوبة الامام ابن رشد

للعلامة: عمر بن عبد الله بن عمر الفاسي رحمه الله

■ الأستاذ: إدريس كـــرم

الحمد لله على ما انعم وارشد والهم وصلى الله على سيدنا محمد افضل من علم وعلم وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،
يقول العبد الفقير الى الله تعالى عمر بن عبد الله بن عمر الفاسي كان الله له، وبلغه من خير الدارين امله.
هذا تقييد ما تحصل لدي في مسئلة الإستثناء بالمشيئة في الطلاق المعلق، فبينت فيه الجواب عما اورده ابن رشد على ابن القاسم وما لابن عرفة وغيره في ذلك، ووسمته، بالتماس الرشد في مجاوبة ابن رشد، وبالله استعين فهو الناصر المعين.

■ قال الامام القاضي أبو الوليد محمد بن رشد رحمه الله في مقدماته ما نصه، وأما الإستثناء بمشيئة الله تعالى فإنه إنما يصح في اليمين بالله، ولا يصح في الطلاق المجرد، واختلف هل يصح في اليمين بالطلاق على قولين، الأصح منهما في النظر انه يصح فيه إذا صرف الإستثناء الى الفعل لا الى نفس الطلاق، لأنه إذا صرفه الى الفعل فقد بَرَّ ولم يلزمه الطلاق، لأنه على الطلاق بصفة لا يصح وجودها، وهي أن يفعل الفعل والله لا يشاء أن يفعله، وذلك مستحيل إلا على مذهب القدرية مجوس هذه الأمة، فعلى قول ابن القاسم في قوله أن الإستثناء لا ينفعه، وإن صرفه إلى الفعل درك عظيم هـ .

❖❖❖

ويسقط هذا الكلام أن الإستثناء إذا صرف إلى الفعل المعلق عليه الطلاق، كان يقال أنت طالق إن دخلت الدار إلا أن يشاء الله دخولك، فصرفه إليه مانع من لزوم الطلاق لعدم حصول المعلق عليه، وهو دخولها الدار بغير مشيئة الله، لأنها كلما دخلت كان دخولها بمشيئة الله فلم يتحقق المعلق عليه البتة، بل هو مستحيل على رأي أهل السنة لأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالقول بلزوم الطلاق إنما ينبني على رأي القدرية الذين يقولون إن الفعل يقع بدون مشيئة الله تعالى، فعلى قول ابن القاسم القائل بلزوم الطلاق درك عظيم لا بشاءه على ما ذكر.

وأقول في هذا الكلام نظر من وجوه: أحدها أنا لا نسلم ابتناء قول ابن القاسم على مذهب القدرية.

❖❖❖

أما أولا فلأن القدرية لا يقولون بذلك في كل فعل بل في الشرور والقبائح خاصة لتنزه الباري تعالى عن إرادتها، فإن كان الفعل المعلق عليه ليس من جنس الشرور والقبائح فلا محذور في تعليق مشيئة الله تعالى به حتى على مذهب القدرية، وح فلا يتحقق المعلق عليه حتى يلزم تحقق المعلق الذي هو الطلاق، وكتب الكلام طافحة بتقرير مذهب المعتزلة على ما ذكرناه.

❖❖❖

قال العلامة سعد الدين التفتازاني في شهر المقاصد ما نصه: مذهب أهل الحق أن إرادته تعالى متعلقة بكل كائن، غير متعلقة بما ليس بكائن على ما اشتهر عن السلف، وروى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم، أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لكن منهم من منع التفصيل بأن يقال انه يريد الكفر والظلم والفسق كما في الخلق يقال إنه خالق الكل، ولا يقال خالق القاذورات والقردة والخنازير، وخالفت المعتزلة في الشرور والقبائح فزعموا أنه يريد من الكافر الإيمان وإن لم يقع لا الكفر وإن وقع، وكذا يريد من الفاسق الطاعة لا الفسق، حتى إن أكثر ما يقع من العباد خلاف مراده هـ.

وهذا هو المقرر في مواضع من الكشاف إلا أن يريد أنهم يقولون بذلك في الجملة، ووجه الدرك على ابن القاسم على هذا أنه ضاهى رأي المعتزلة، وأما ثانيا فلاحتمال ملاحظة ابن القاسم فيما ذهب إليه مدركا آخر غير البناء على المذهب المذكور كما سنذكره إن شاء الله، ثانيهما أن قوله لأنه على الطلاق بصفة إلخ إنما يأتي على ما فيه في صورة التعليق على المشيئة بصيغة الإستثناء كما مثلناه، وأما صيغة الشرط فالامر فيهما على العكس وذلك لأنه علق الطلاق فيها بفعل مقيد بمشيئة الله، كقولك أنت طالق إن دخلت الدار إن شاء الله، فمتى تحقق دخولها الدار كان بمشيئة الله تعالى، فيتحقق المعلق عليه بقيده، فيلزم الطلاق، وهو قول ابن القاسم، فعلى قياس ما قال في صيغة الإستثناء يكون الأصح في هذه هو اللزوم، ومقابله يجري على قول القدرية فكان عليه ان يفصل في التصحيح بين الصيغتين، فيقول الأصح في صيغة الشرط قول ابن القاسم، وفي صيغة الإستثناء قول غيره، فإن قلت هذا إنما تكلم على صيغة الإستثناء، ولم يلم بصيغة الشرط بحال ويصحح فيها قول ابن القاسم ويلزم غيره الدرك العظيم، قلنا الإستثناء إذا أطلق في كلامهم، تناول الصيغتين معا لأنهما لا يفترقان في الحكم الذي هو جل اليمين بالله دون غيره قال في البيان ما نصه، وأما الإستثناء الذي يخرج به جميع الجملة في بعض الأحوال فهو الإستثناء بأن وإلا مثاله أن يقال والله لأعطين القرشي ثلاثة دراهم إن كان كذا وكذا، أو إلا أن يكون كذا، فهذا لابد فيه من تحريك اللسان قولا واحدا لأنه في معنى الإستثناء بإن شاء الله، وبالا إن يشاء الله هـ.

❖❖❖

فهم يتوسعون في إطلاق الإستثناء على الشرط، فإن عنا في المقدمات بقوله وأما الإستثناء بمشيئته تعالى ما يعم الصيغتين معا. فالتعليل قاصر لا يتناول صيغة الشرط، ويلزم ما ذكرناه وان عنا به خصوص صيغة الإستثناء، فقد أخل بالكلام على صيغة الشرط، مع أن الحكم فيها كالحكم في صيغة الإستثناء، والخلاف فيهما واحد، إذ صرف الإستثناء إلى المعلق عليه، على لزوم الطلاق فيهما إن صرف الإستثناء إليه ففي العتبية ما نصه:

وقال فيمن قال أنت طالق إن شاء، أو أنت طالق إلا أن يشاء الله، إن ذلك سواء هي طالق، ابن رشد، هذا أمر لا اختلاف فيه في مذهب مالك، وجميع أصحابه انتهى، وقد عكس ابن عرفة كلام ابن رشد في هذا الإلزام فقال ما نصه: ولو علق معلقا على أمر بمشيئة الله تعالى، ففي لغو استثنائه مطلقا، أو ما لم يرد للمعلق عليه قولان للمشهور وابن الماجشون مع اصبغ، وابن حبيب، والشيخ عن اشهب، وصوبه غير واحد، قال ابن رشد أصح القولين أعماله، لأنه إذا صرفه إلى الفعل فقد بر، فلم يلزمه طلاق، لأنه علقه بصفة لا توجد، وهي أن يفعل الفعل والله لا يشاؤه، وذلك باطل إلا على مذهب القدرية مجوس هذه الأمة.

❖❖❖

فعلى قول ابن القاسم في قوله، درك عظيم قلت هذه المسألة فرع بالنسبة لمسألة اليمين بالله لأنه فيها متفق عليه وفي هذه مختلف فيه، ورده للفعل في هذه المسألة يحتمل تفسيره بأن تعلق مشيئة الله تعالى بالفعل، يوجب تعلق الفعل به أو بأن تعلقها به، يمنع تعلق الحلف به، وابن رشد بناه على الثاني، فلزم ما ألزم ولقائل مجيبا عن ابن القاسم بأنه على المعنى الأول، وحينئذ ينعكس الأمر في جري قول ابن القاسم على مذهب أهل السنة ومذهب غيره على مذهب القدرية، فإن قلت الإستثناء في اليمين بالله هو الأصل، وهو فيها على المعنى الثاني، لا على الأول، قلت بل على الأول، وهو تقييد المحلوف عليه بأنه إن شاء الله سلمناه، إنما كان في اليمين بالله على الثاني لأن حمله على الأول مناف لنص حكم الشرع فيه انه يرفع مقتضى اليمين، فوجب حمله على الثاني لموافقة مقتضى النص فيه، بخلاف حمله على الأول في الطلاق المعلق، هو فيه حمل اللفظ على ظاهره، مع السلامة من معارضة نص فيه اما انه حمل اللفظ على ظاهره، فبيانه أن قوله أنت طالق إن قمت إن شاء الله فيه شرط تعقب شرطا قبله، على أنه متعلق بدون القاعدة إن الشرط إذا تعقب فعلا مسندا أن يؤثر في وقف إسناده على الشرط، لا أن يؤثر في وقف نقيض الإسناد المذكور، كقوله اضرب أربعين جلدة هذا إن قذف حرا عفيفا إن كان عبدا، فقوله ان كان عبدا موثر في إسناده ضرب أربعين، بمعنى وقفه على الشرط الأخير، وهو إن كان عبدا وحمله على تأثير في نقيض الاسناد وهو عدم ضرب المذكور حمل له على غير مدلوله لا يصح إلا لمعارض شرعي كما في اليمين بالله، فتأمله هـ.

❖❖❖

وقد قرر الخلاف أولا بين ابن القاسم وغيره مجملا في صيغتي الشرط والإستثناء وصرح بالاحتمال كما رأيت وسلم الزام ابن رشد الدرك في صيغة الإستثناء، وفيه ما سمعت لكنه رام تخصيص كلام ابن القاسم بمسئلة الشرط تفصيلا عن الإلزام المذكور، فعاكس ابن رشد في تقريره والزامه ومقتض ان ابن القاسم يقول بعدم لزوم الطلاق في صيغة الإستثناء وهو المشهور وليس كذلك، قال في الكافي ومن قال أنت طالق إن فعلت كذا وكذا إلا أن يشاء الله طلقت، ولم ينفعه وقد قيل إن له هاهنا ثنياء، إذا أراد الثنيا في الفعل دون الطلاق هـ، فصرح بلزوم الطلاق في صيغة الإستثناء على المشهور وقد تعسف ابن عرفة في توجيه هذا التخصيص وأتى بكلام ساقط عن درجته، فقوله إنما كان باليمين بالله على الثاني، لأن حمله على الأول مناف الخ قلنا لا منافاة لأن معنى ما ورد من رفعه مقتضى اليمين أنه مانع من انعقادها ولزوم ما يترتب على الحنث فيها من الكفارة وذلك قدر مشترك بين الصيغتين، لا ينافه معنى واحدة منهما، ثم إن هذا الكلام يقتضي أن معنى الشرط لا يؤثر في حل اليمين بالله، وليس كذلك وقد سبق في كلام ابن رشد التصريح بأن صيغتي الشرط والإستثناء سواء في حل اليمين بالله، وقوله بخلاف حمله على الأول في الطلاق المعلق، هو فيه حمل اللفظ على ظاهره الخ.

❖❖❖

قلنا لا نسلم أن حمل الإستثناء في الطلاق على معنى الشرط حمل اللفظ على ظاهره وانما هو تجوز وتوسع في الاطلاق العرفي، لاتحادهما في الحكم كما مر، وما ذكره في بيان كونه ظاهرا للفظ غير بين في ذلك، لأن حاصله ان معنى الشرط انما يستفاد من صيغته، وأين هذا مما نحن فيه؟ فظهر مما ذكرناه أن تقرير المشهور، وهو قول ابن القاسم بخصوص صيغة الإستثناء كما اقتضاه كلام ابن رشد، غير صواب لما تقدم من استوائهما في الحكم وإن اختلفا معنى، وان ما ألزمه ابن رشد غير لازم كما أن قصره على الشرط، كما أجاب به ابن عرفة غير صواب لما ذكر من الإستثناء وكما صرح به الحافظ ابو عمر في كافيه، وان ما الزمه ابن عرفة لابن الماجشون ومن معه غير لازم أيضا وسياتي توحيد القولين بما لا درك فيه إن شاء الله تعالى.

❖❖❖

ثالثها إن من صور الطلاق المعلق الذي وقع فيه الإستثناء بالمشيئة مصروفا الى المعلق عليه ما كان بصيغة الحنث، كقولك انت طالق إن لم تفعلي كذا إلا أن يشاء الله مؤجلا أو غير مؤجل، ولا يتناوله قوله لأنه علق الطلاق بصفة لا يصح وجودها، وهي أن يفعل الفعل الخ لأنه انما علق الطلاق بنفي الفعل لا بالفعل، لكن الخطب في هذا سهل واعلم أن الشيخ أبا الحسن الصغير رد إلزام ابن رشد المذكور، فقال بعد نقل كلامه السابق ما نصه الشيخ بل لا درك عليه، لأن الإستثناء بمشيئة الله لا ينفع إلا حيث ورد به الشرع وذلك في اليمين بالله خاصة، فإذا كان كذلك فهو إذا علق بمشيئة الله تعالى، فإنه يعد هازلا سواء كان الطلاق معلقا بفعل أو مجردا.

❖❖❖

وطلاق الهزل لازم ووجه كونه هازلا أن جميع الأفعال لا تقع إلا بمشيئة الله تعالى، فتأمل ذلك هـ، فوجه القول بلزوم الطلاق بالالتفات إلى ما في الكلام من معنى الهزل، إذ لا معنى للتقييد بالمشيئة مع ما علم من استحالة انفكاك الأفعال عن مشيئة الله تعالى، وقد ذكر ذلك القاضي عبد الوهاب في معونته في الطلاق المجرد، وهذا التوجيه لقول ابن القاسم في الطلاق المعلق إنما يحتاج إليه في صيغة الإستثناء وأما في صيغة الشرط فيلزم الطلاق أمر واضح، ولعل ابن الماجشون لا يلتفت إلى معنى الهزل بل التفت إلى عدم تحقق المعلق عليه فلذا قال بعدم اللزوم في صيغة الإستثناء وأما في الشرط فلعله قاس الطلاق على اليمين بالله وقد أشار إليه في المقدمات، وذكر الشهاب القرافي في الذخيرة قاعدة، وهي أن الأسباب منها ما لم يكله الله تعالى الى خلقه كالزوال، ومنها ما وكله إليهم كالتعليقات بدخول الدار ليس سببا في طلاق امرأة ولا في عتق عبد في أصل الشرع إلا أن يريد المكلف فيجعله سببا بالتعليق، وكل ما كان للمكلف سببيته لا يكون سببا لا يحرمه، قال فإذا تقرر هذا فإذا أعاد الإستثناء إلى الفعل المعلق عليه كان معناه أن ذلك الفعل لم اجزم بجعله سببا للطلاق بل فوضت سببيته إلى الله تعالى ان شاء الله جعله سببا، وإلا فلا.

❖❖❖

وعلى هذا التقدير لا يكون سببا ولا يلزمه شيء إجماعا، ولا يمكن أن يخالف فيه ابن القاسم، لكن ساق صاحب المقدمات قول ابن القاسم على الخلاف هـ، ونحوه له في الفرق الثالث من كتاب الفروق أقول هذا الكلام يقضي منه العجب وذلك ان معنى صرف المشيئة إلى المعلق عليه جعله متعلقا لها بأن يكون هو مفعول المشيئة، فمعنى أنت طالق إن دخلت الدار إن شاء الله أو إلا إن يشاء الله إن شاء الله دخولك أو إلا أن يشاء دخولك، وليس معناه إن شاء الله جعل الدخول سببا للطلاق كما سبق عن المقدمات، وابن عرفة وهو المقرر عليه فإن يكون هو مفعول المشيئة على ما ذكرناه، لكنه راجع الى الربط والاتصال الجعلي الذي هو مضمون المتصلة قبل الإستثناء بالمشيئة على معنى انه شرط فيه أو استثناء منه على ما به من التقييد بالمفعول فمعنى قولنا أنت طالق إن دخلت الدار إن شاء الله، إن الربط بين الدخول والطلاق يتسبب عن مشيئة الله تعالى، الدخول ومعنى قولنا أنت طالق إن دخلت الدار إلا أن يشاء الله، ان الربط بين الشرط والجزاء حاصل وثابت في كل حال من أحوال الدخول في حال تلبسه بمشيئة الله تعالى فلا يكون بينهما في هذه الحالة ارتباط وإنما قلنا هكذا لأن القيود والإستثناءات ينبغي أن تكون راجعة إلى النسبة التامة، والنسبة التامة في هذا التركيب هي النسبة الاتصالية بين الشرط والجزاء، ولذا قال النحاة ان الشرط اذا دخل على شرط كان الشرط الاول وجوابه جوابا عن الثاني كقولك ان تذنب ترحم أي إن تذنب فإن تتب ترحم، وقد قرر هذا المعنى صاحب المقرب والرضى في شرح الحاجبية، وابن مالك في التسهيل، وابن هشام في المغني، والقرافي في شرح المحصول، وعلى قياسه يقال في مثالنا إن شاء الله دخولك فإن دخلت فأنت طالق، ومنه قول الشاعر:

(فإن عثر بعدها أن والت نفسي
من هانا فقولا لا لعا)

وفي التنزيل: "ولا ينفعكم نصحي أن أردت أن انصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم".

❖❖❖

هذا ما تلخص لدي من الكلام على هذه المسألة وقد تعديت فيه طوري، وتجاوزت قدري، وتجرأت على أولئك الأكابر الذين لا ينكر فضلهم، إلا معاند مكابر، والباع مني قصير، والعقل غير بصير، لاكني لم أرد غضا، ولا هضما لجنابهم الرفيع ولا رفضا، وكيف وهم الجهابذة الأعلام، وقدوة أرباب المحابر والأقلام، أفاض الله عليهم سجال الرحمات، ونور ضرائحهم بأنوار الكرامات، وجعلنا بمحض فضله ممن يثابر على الفعل الجميل، ويبتغي من الله الأجر الجزيل، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد منبع الخيرات، وعنصر الكمالات، وعلى آله الطيبين المهتدين، وأصحابه حماة الدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، انتهى بحمد الله.

في ظلال الحديث :

الحديث رقم :102:أرحم الخلق بالخلق

نص الحديث: 3/2

عن أبي صالح قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يناديهم: " يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة " رواه الدارمي.

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

لقد تناولنا في الحلقة الماضية بعضا من تلكم الصور المشرقة التي تجسد هذا الخلق العظيم لهذا النبي العظيم، وبينا كيف اثنى ربنا سبحانه على نبيه ووصفه بنبي الرحمة، ورحمته صلى الله عليه وسلم بأمته بدءا بأهل بيته وأصحابه وغير المسلمين ممن عايشه...

بل إن رحمته صلوات ربي وسلامه عليه شملت حتى البهائم والدواب، والطيور والنباتات..في كل الظروف والأحوال...

7. رحمته بالبهائم والدواب:

وتتجاوز رحمته ذلك كله إلى الحيوان والبهيمة العجماء، فعن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفا أو حائش نخل. قال: فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت فقال: "من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل؟؟فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يارسول الله. فقال: "أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتدئبه". رواه أبو داود .

الله أكبر، يا له من قلب رحيم عظيم، مع مايحمل من عبء الرسالة لا لأصحابه بل للبشرية اجمع، للثقلين الإنس والجن ومع مايحمله من هم وجهد يجد هذا الحيوان البهيم مكانا رحبا واسعا في قلب هذا الرجل العظيم، فيأتي إلى النبي وقد عرف عنه الرحمة، فيشتكي إليه، فيجيب الشكوى، ويسأل عنه صاحبه ليخبره بشكوى هذه البهيمة، بأسلوب تربوي رائع، حيث يربط الرحمة بهذه البهيمة بتقوى الله عز وجل...

ويروي الإمام أبو داود في سننه عن سهل ابن الحنظلية قال: مر رسول الله . صلى الله عليه وسلم. ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال : "اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها وكلوها صالحة" وفي صحيح الإمام مسلم أن عائشة ركبت بعيرا فكانت فيه صعوبة فجعلت ترده فقال لها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . "عليك بالرفق" ثم ذكر بمثله.

وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال كنا مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحُمَّرَةُ فجعلت تفرش فجاء النبي . صلى الله عليه وسلم . فقال: "من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها" ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال "من حرق هذه" قلنا نحن. قال "إنه لاينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار" رواه أبو داود.

والحديث معشر القراء الكرام ليس حديثا عن رحمته بالبهائم المعجمة والدواب والحيوان إنما هي إشارة إلى أن ذلك القلب العظيم الرحيم، إلى تلك الرحمة المهداة، التي وسعت هذه الدواب، وإذا كان هذا أمره مع البهائم، فهو مع بني آدم أكثر لتكريم بني آدم لهم، وإن الأمثلة عديدة لايتسع المجال لذكرها وبسطها بتفصيل.

8. رحمته تتجاوز حدود عصره:

تتجاوز رحمة النبي ورأفته بأمته عليه أفضل الصلاة وأتم والسلام ذلك العصر الذي عاشه، وذاك الجيل الذي عاشره ليضع هذه الضمانة لمن بعده فيدعو ربه تبارك وتعالى كما جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به".

فمن خلال هذا الحديث يضع الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، للمسؤولين من أمته نبراسا وهديا عليهم الرجوع إليه كلما نزغهم من الشيطان أو من أنفسهم نزغ، او أصابهم ضعف حتى يجنبوا أنفسهم مشقة الدنيا والآخرة.

9. أمره بالرحمة وحثه عليها:

هذه بعض المعالم من هدي أرحم الخلق بالخلق، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وهو مع ذلك، لم يكتف بأن يجسده على أرض الواقع، فيكون مثالا يقتدى وأثرا يقتفى . وإن كان وحده كافيا . بل أمرنا بالرحمة وحثنا عليه، وأعلى لنا شأنها، فأخبر أن الراحمين هم أولى الناس برحمة الله ففي الترمذي وأبي داود من حديث عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . "الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله" قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

والراحمون يستحقون مغفرة الله سبحانه وتعالى، والمغفرة أخص من الرحمة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين أن رجلا كان يمشي في الطريق فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب، فلما خرج رأى كلبا يتولى من العطش، فنزل البئر وسقاه، فلما سقاه غفر الله عز وجل له. وفي رواية أنها بغي من بغايا بني إسرائيل.

أرأيتم أولئك الذين رحمهم الله وغفر لهم وقد رحموا دابة من الدواب؟ فما بالكم بمن يرحم عباد الله سبحانه وتعالى الصالحين الأتقياء؟ ما بالكم بمن يقدر حياة أخيه الإنسان، ويرى في رحمته وتكريمه غاية ينال بها رحمة ربه، وثوابه وغفرانه...

وكما أعلى النبي (ﷺ) منزلة الراحمين وأخبر أنهم أولى الناس برحمة الله عز وجل ومغفرته، توعد أولئك الذين لايرحمون، فأخبر أنهم أبعد الناس عن رحمة الله سبحانه وتعالى كما في حديث جرير بن عبد الله في الصحيحين أنه قال: "لايرحم الله من لايرحم الناس" ومضى معنا في حديث الأقرع بن حابس في الحلقة الماضية أنه قال: "من لايرحم لايُرحم"

وأخبر أولئك الذين لايرحمون أشقياء قد كتبت عليهم الشقاوة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي داوود أنه قال سمعت أبا القاسم يقول: "لاتنزع الرحمة إلا من شقي".

إذا فالراحمون يرحمهم الله سبحانه وتعالى ويغفر لهم، وأولئك الذين نزعت الرحمة من قلوبهم أشقياء قد عوقبوا بنزع هذه الرحمة، وهم أبعد الناس عن رحمة الله سبحانه وتعالى، والله عز وجل لايرحم من لايرحم عباده، فالجزاء من جنس العمل.

وهنا نستنتج أن هؤلاء الذي يوجهون أسلحتهم إلى إخوانهم وبلدانهم، بل حتى إلى الأمنين غير المحاربين من غير المسلمين داخل أوطانهم، لم يفقهوا هذا الحديث وغيره مما جاء يحث على الرحمة والتراحم، وإنهم لم يطلعوا على السيرة العطرة لسيد الوجود، سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله حيث كان صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، يرحم ويأمر بالرحمة، إن هؤلاء لم يشموا رائحة الأخلاق النبوية العطرة، وإنني وإياك أيها القارئ الكريم، متيقنون تمام اليقين، أن التخلق بأخلاق المصطفى عموما والرحمة خصوصا، هو المحرار الحقيقي للإيمان عند العبد، ومدى ارتباطه بربه وخشيته وتقواه، فالذي يتقي ربه حق التقوى، يتعبده برحمة عباده، والبر والإحسان إليهم، فإن لم يستطع فبكف الأذى عنهم...

وإنه لبعيد كل البعد عن الإسلام من ظن ولو للحظة واحدة أنه ينصر الإسلام بإرهاب الأمنين، وإثارة الفتن بين المسلمين، والناس أجمعين، إن المسلم الحق هو من يكون رحمة على نفسه وعلى أهله وعشيرته وقومه ووطنه والناس أجمعين.

والتخلق بالرحمة ليس ذل وهوان، أو سكوت عن الحق، أو تهاون في الكرامة والعزة، أو نكوص ورجوع إلى الوراء، وتخل عن مكتسبات الأمة، فالمسلم وقاف عند حدود، حريص على مكونات ومقومات الأمة وحدودها الجغرافية، رحيم بغيره غير مضر بنفسه ودينه ووطنه وثوابته.

10. العلماء العاملون على منهجه:

ولما كانت هذه صفة النبي (ﷺ)، كان أهل العلم والدعوة إلى الله تعالى هم الرحماء بالخلق، فكانوا خير الناس للناس، يعرفون الحق ويرحمون الخلق، كما نص على ذلك جمع من علمائنا الأفاضل.

إن منهجهم لايقف عند مجرد زخم فكري أو ترف معرفي، ولاعند باب من أبواب العلم والاعتقاد، بل هو منهج وسلوك يطبع حياة المسلم كلها في اعتقاده وعبادته وفي الخلق والسلوك والتعامل مع الناس.

يقول الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله يقول عنهم: ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية.. "أهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة، ويطيعون الله ورسوله، فيتبعون الحق ويرحمون الخلق".

ويقول أيضا في موضع آخر: "وأهل السنة فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالى : "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجر مَنَكُمْ شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعلمون" المائدة:8.

ويرحمون الخلق، ويريدون لهم الخير والهدى والعلم، لايقصدون الشر لهم ابتداء بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق".

والنقول عن سلف الأمة تطول في ذلك، وانظر في أي كتاب صنفه إمام أو فقيه أو عالم من المتقدمين أو المتأخرين لتراه ينص على أن أهل السنة والسلف الصالح يرحمون الخلق، وأنهم يأمرون بإطعام الطعام وإفشاء السلام، ويتحدث عن الجوانب الأخلاقية والسلوكية.

فجدير بنا أن لانهمل هذا الجانب، فالذي يتصدر دعوة الناس ويعلن لهم أنه يسير وفق ما كان عليه النبي (ﷺ)وأصحابه، وأنه يحمل الحق الواضح للناس ينبغي أن يكون سلوكه وهديه وسمته خير دليل للناس على صدق مقالته، وعلى صدق مايدعوهم إليه، فيتمثل هذا السلوك وهذا الجانب في حياته كلها وفي سلوكه. هذا ولقد علم أن لسان الحال أبلغ من لسان المقال.

إن الكلام عن هذا النبي العظيم، وعن خلقه الكريم، الذي ميزه الله به، وجعله الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه، صفة لازمة لمن أراد الفوز برضى الله تعالى وطاعته، هذا الأمر جعلنا نتحدث عن ورثته، ونستحضر نماذج ممن تأسوا واقتدوا، وساروا على نهجه، واقتفوا أثره، ومن باب العدل في الكلام أستسمحكم أيها القراء الأفاضل، ان نخصكم بحلقة مقبلة إن شاء الله تعالى، نتكلم فيها عن مجالات الرحمة وصورها عند السلف الصالح (ورثة الأنبياء)، وكيف طبقوا مبدأ الرحمة والتراحم مع المخالف، وسنختم بإذن الله بالتنبيه على أن الرحمة لاتكون على حساب العقيدة والشريعة، والثوابت القطعية، والمقدسات الدينية والوطنية.

وإلى ذلكم الحين أرجو الله لي ولكم أن يشملنا برحمته الواسعة وأن يجعلنا من الرحماء... آمين...

والله أعلم بالمراد هو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

أمانة الوظيفة

■ إعداد الأستاذ: العربي الموذن

■ الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولاعدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، الملك الحق المبين، الذي لافوز إلا في طاعته، ولاعز إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا هدى إلا في الاستهداء بنوره، الذي إذا أطيع شكر، وإذا عصي تاب وغفر، وإذا دعي أجاب، وإذا عومل أثاب، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم، أرسله رحمة للعالمين، وإماما للمتقين، وحجة على الخلائف أجمعين. صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من يطع الله ورسوله فاز برضى مولاه ومن يعص الله ورسوله حشر دنياه وأخراه اللهم اجعلنا من الفائزين ولاتجعلنا من الخاسرين. اللهم ألف على الخير قلوبنا وأصلح ذات بيننا واهدينا سبل السلام ونجنا من الظلمات إلى النور اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولامضلين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين، أما بعد:

فيقول الحق سبحانه وتعالى في سورة الانفال المدنية "يأيها الذين ءامنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون"27.

خيانة الله تتحقق بترك الفرائض والأوامر والتورط في الآثام المنهي عنها، وخيانة الرسول تتحقق بإهمال سنته وهديه وتعاليمه، وخيانة الأمانات تتحقق بإهمال مايجب حفظ ورده إلى مستحقه، ومعنى وأنتم تعلمون، أي ما في الخيانة من القبح والعار.

عباد الله: الأمانة شرف يختص الله به من شاء واختار من عباده فإن حفظها من اختيرلها، وأداها كما ينبغي، بارك الله سعيه، وأفاض عليه من فضله، والله ذو فضل عظيم وإذا حاد عن سننها أو قصر في واجبها وأساء استخدامها تلقفه سخط الله، وسلبت من النعمة، وسلط الله عليه البلاء والشقاء بما كسبت يمينه رجاء أن يرجع إلى ربه، ويذكر عدله في حسابه، وشدة بطشه في عقابه، وهذه فرصة اقتضتها رحمة الله، فإن أفلتت منه واستمر في ضلاله أحصى الله عليه عمله، حتى إذا أخذه لم يفلته، فإن الله يمهل ولايهمل، بل يشتد غضب الله على المستهين بالأمانة فيبسط له في القدرة، والمال، والجاه، ليزداد غرورا وغطرسة وامعانا في الغفلة والتورط في الاثم، وبقدر ماتقدم يداه يكون الجزاء.. «فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبوابا كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذاهم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين"الأنعام:44.

الناسي في شرع الله غير مواخذ، والنسيان في الآية بمعنى الترك والإهمال أي تركوا وأهملوا ماأمروا وذكروا به من قبل شرع الله. ومعناه أنهم أمروا بأداء الأمانة التي تحملوها راضين غير مكرهين، والمحافظة عليها بإعطاء كل ذي حق حقه. والتارك للشيء إعراضا عنه بتفريط منه، قد سيره الشرع بمنزلة ما قد نسي.

وانظروا إلى التعبير القرآني الذي جاء عقب التفريط في الأمانات وخيانتها ..فتحنا عليهم أبواب كل شيء.. فتحنا عليهم أبواب الأرزاق والخيرات والمتاع والجاه والكلمة النافذة والأعوان، حتى أصبح ذلك بشكل متدفق كالسيول بلا حواجز ولاقيود، وكل شيء مقبل عليهم بلا عناء ولاكد ولاحتى محاولة..الخ. ويصحب ذلك كله فرصة، وبعدها حتى إذا فرحوا بما أوتوا، وغمرتهم الخيرات والأرزاق المتدفقة، واستغرقوا في المتاع بها والفرح لها، وانحصرت اهتماماتهم في لذائذ المتاع واستسلموا للشهوات وخلت حياتهم من الاهتمامات الكبيرة التي خلقوا لها، كما هي عادة المستغرقين في اللهو والمتاع والشهوات، وطبعا ينتج عن ذلك فساد القلوب الذي يؤدي إلى فساد الأوضاع والنظم وذلك يجر قطعا إلى فساد الحياة كما هو معايش ومشاهد، وعند ئذن يجيء موعد السنة الإلهية التي لاتتبدل.. أخذناهم بغتة فإذاهم مبلسون أخذناهم على غرة وهم في سهوة وسكرة، فإذا هم حائرون منقطعو الرجاء في النجاة عاجزون عن التفكير في أي اتجاه، وإذا هم مهلكون بجملتهم حتى آخر واحد منهم، فقطع دابر القوم الذين ظلموا، ودابر القوم هو آخر واحد منهم في الخيانة والظلم والتسلط والفساد بحيث يجيئ في أدبارهم في مؤخرتهم وهذا طبيعي في عالم المفسدين في الأرض، فإذا قطع آخرهم فأولهم أولى، والحمد لله رب العالمين.

أيها الناس: الوظيفة أمانة ومسؤولية عظيمة تلزم صاحبها أيا كان موقعه بالاخلاص والصدق وعدالة التصرف، لأنه ماقبل الوظيفة ورضيها وبحث عنها إلا ليقبلها بشروطها سواء كانت شروط وجوب أو شروط صحة، ومن أمانة الوظيفة أن يحرس الموظف جوفه من نار الاستغلال، ويحفظ بدنه وولده وأهله من نقمة الانحراف، على الموظف أن يرعى في وظيفته حقوق من يسهر على مصالحهم بالعدل والسوية ثم بالاحسان، والناس في حاجة إلى الإحسان، فإذ كان الموظف كذلك فهو عابد لله عز وجل، وإذا حاد عن المنهج وزاغ عن الطريق فإن بطش الله من ورائه، إن بطش ربك لشديد، والكيس من أنصف نفسه من الناس وأنصف الناس من نفسه والخائن من هوى مع الهوى والشيطان، والمخبول من باع آخرته بدنيا غيره فالدنيا زوال والآخرة خلود، وعلى العاقل أن يتمثل أمر به فيحكم بالقسطاس المستقيم الذي أزله الله في كتابه.

أمانة الوظيفة أمانة خطيرة روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله ألا تستعملني؟فضرب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها" لهذا كانت أمانة الوظيف تقتضي إسناد المناصب إلى الأمناء الأقوياء، والأكفاء المخلصين، فإذا قدم من يستحق التأخير، أو أخر من يستحق التقديم، كان إيذانا بحرب من الله ورسوله. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من استعمل رجلا على عصابة من المسلمين، وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمومنين... رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد، وروى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل: يارسول الله ومانضييع الأمانة؟قال: أن يوشد الأمر إلى غير أهله، وأموال الدولة أمانة في يد الموظف، والواجب عليه أن يضعها في مواضعها وأن ينفقها فيما ينفع الجماعة والفرد، ويعود عليهم بالرفاهية والإسعاد، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرة من بعير، ثم التفت إلى أصحابه وقال لهم: لايحل لي من مالكم هذا ولا هذه الوبرة، وفي الحديث المشهور كلكم راع ومسؤول عن رعيته.. الحديث. وقال صلى الله عليه وسلم ما من أمتي أحد ولي من أمر المسلمين شيئا، لم يحفظهم بما يحفظ به نفسه إلا لم يجد رائحة الجنة" رواه الطبراني عن ابن عباس.

وفي الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول لأنه اختلاس من مال الجماعة الذي يتفق في حقوق الضعفاء والفقراء ويرصد للمصالح الكبرى قال تعالى: "ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون" آل عمران:161.

وحدث أن استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له: ابن اللتبية..على الصدقة، فلما قدم. بها . قال: هذا لكم، وهذا أهدى إلي! قال راوي الحديث فقام رسول الله صلى ا لله عليه وسلم محمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا لكم، وهذا هدية أهديت إلي. أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا؟والله لايأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة! فلا أعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه يقول: اللهم هل بلغت!

ولما غابت الأمانة من الموظف، وحلت محلها الخيانة وعدم مراقبة الله تعالى، فشت الرشوة، بشكل فظيع شائن، وترتبت عن هذه الخيانة لأمانة مهنة الوظيفة أن ضاعت بسبب ذلك حقوق الضعيف ومن لاأمر له، ولاصاحب يدفع عنه، وذهب حق المظلوم، وتوصل بذلك الظلمة إلى السطو على حق الضعيف، وكان من نتائج ذلك أن أخذ الناس بالرغب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرغب"اللهم طيب الأمة الإسلامية من الحرام.

الإخاء روح الإيمان

■ إعداد : ذ أحمد بلحاج

■ إن الأخوة الإسلامية هي روح الإيمان الحي ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة أو روح واحد حل في أجسام متعددة.

فأصحاب الإسلام وحملة رسالته يجب أن يستشعروا جلال العقيدة التي شرح الله بها صدورهم وجمع عليها أمرهم وبذلك يصير الدين الخالص أساس أخوة وثيقة العرى تؤلف بين أتباعه في مشارق الأرض ومغاربها وتجعل منهم وحدة راسخة الدعامة سامقة البناء لا تنال منها العواصف الهوجاء.

. ومن حق المسلم على أخيه أن يكره مضرته وأن يبادر إلى دفعها إن حلت به وأن يقاسمه الألم ويحس معه بالحزن إذا لحقه ما يتأذى به قال رسول الله (ﷺ) : «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» والتألم الحق هو الذي يدفعك دفعا إلى كشف ضوائق إخوانك فلا تهدأ حتى تزول غمتها وتدبر ظلمتها فإذا نجحت في ذلك استنار وجهك واستراح خميرك، بل إن روح الإيمان هو الشعور الحي والارتباط الواعي بالآخرين والعلاقة الروحية القوية التي يظلها الله سبحانه برحمته ويرعاها بلطفه.

. إن أعباء الدنيا جسام والمتاعب تنزل بالناس كما يهطل المطر فيغمر الخصب والجدب والإنسان وحده أضعف من أن يقف طويلا تجاه هذه الشدائد، ولئن وقف إنه لباذل من الجهد ما كان في غنى عنه لو أن إخوانه هرعوا لنجدته وظاهروه في إنجاح قصده وقد قيل المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ففي المجتمع المتحاب بروح الإيمان بالله الملتقي على شعائر الإسلام يقوم إخاء العقيدة مقام إخاء النسب وربما زادت رابطة الإيمان على رابطة الدم.

والحق أن أواصر الأخوة في الله هي التي جمعت أبناء الإسلام أول مرة وأقامت دولته..

ورفعت رايته وعليها اعتمد رسول الله (ﷺ) في تخصيص أمة رفيعة العماد وطيدة الأركان وحين هاجرا المسلمون من كل فج إلى المدينة كانت المدينة التي احتضنت الإسلام تقيم العلاقات بين الوافدين والقاطنين على الأخوة في الله والإيثار عن سماحة رائعة والمساواة بين الأنساب والأجناس وإسداء المعروف وإشاعة الفضل ...

علم التوقيت : وآلة بيت الإبرة ونصب المحراب

- الحلقة الثالثة-

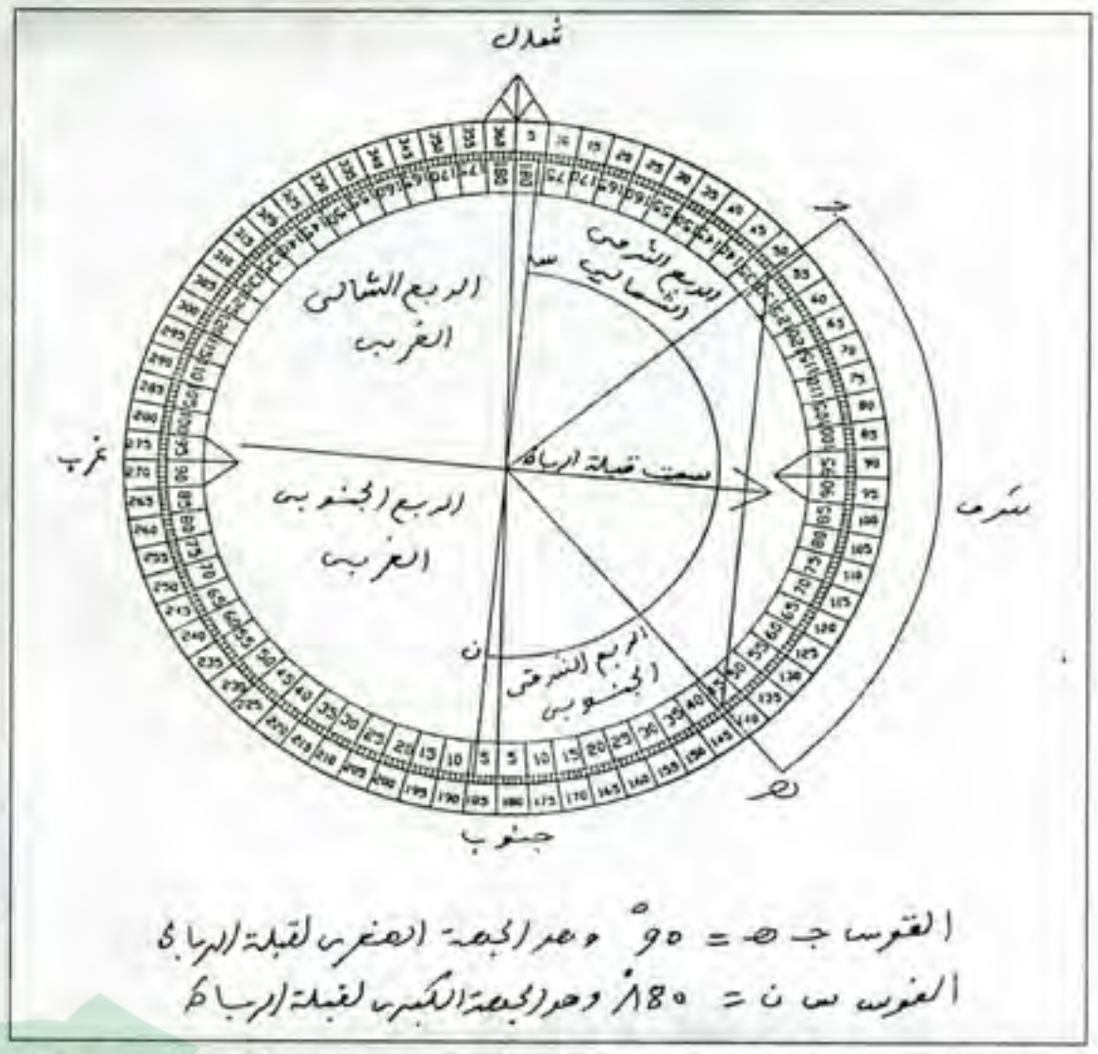

لتعلم : أن بيت الإبرة شكل بسيط من خشب أو عاج أو نحاس أو عظم سميك أو غير ذلك، وفيه حفرة مستديرة، وفي وسطها شاخص رقيق محدد الرأس، على إبرة ممدودة ذنبها مشقوق ورأسها مستو، وتحت هذه الإبرة خط مرسوم على صورتها له ذنب ورأس، وعلى حافتي الدائرة من جهة المشرق والمغرب خطوط لفضل الدائرة قبل الزوال وبعده، فدرج ما قبل الزوال 90 درجة وكذلك ما بعده، وساعات ذلك اثنتا عشرة 12 ساعة، ستة قبل الزوال، وستة بعده، فكل ساعة مشتملة على خمس عشرة درجة، وكل درجة مشتملة على ستين دقيقة، كل دقيقة قدر زمانها قدر قراءة الباقيات الصالحات، وهي : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أو قدر قراءة سورة الإخلاص، بالأمر المتوسط.

فخطوط الساعات هي المتسعة، وخطوط الدرج هي المتضايقة، وخط الزوال هو الذي في منتصف سطح بيت الإبرة فاصل بين المشرق والمغرب، وفي سطح غطاء بيت الإبرة خيط مسامت لخط الزوال، طرفه الأعلى على الغطاء، وارتفاعه فوق القطب الشمالي بقدر عرض البلد الذي وضع له فضل دائر بيت الإبرة، وطرفه الأسفل في طرف سطح بيت الإبرة مما يلي الجنوب، وعلى سطحها الشرقي شاخص لمعرفة وقت العصر، وربع القامة على مذهب المالكية في جوازه للجماعة التي تنتظر غيرها في صلاة الظهر صيفا وشتاء، ويزاد على ربع القامة في الصيف لشدة الحر، وحول الحفرة فيها محاريب البلدان مقسومة بأربعة أرباع، ربعان شرقيان شمالي وجنوبي، وربعان غربيان شمالي وجنوبي، في كل ربع 90 درجة مجموع ذلك 360 درجة، وذلك عدد درج أفق كل بلد.

ثم جعل في ربع تسعة محاريب غالبا، كل محراب مشتمل على عشر درجات، فإذا كان سمت قبلة بلد عشر درجات فأقل شرقيا جنوبيا مثلا كتب ذلك البلد في المحراب الأول من الربع الغربي الشمالي كقرطبة ومراكش وفاس ودرعة وتلمسان من أهل المغرب، وإن كان سمت قبلة ذلك البلد أكثر من عشر درجات إلى عشرين درجة كتب اسمه في المحراب الثاني من الربع الغربي الشمالي كتونس وساحلها وطرابلس وأعمالها، وإن زاد سمت قبلة البلد على عشرين إلى ثلاثين كتب في المحراب الثالث كبرقة إلى وأوجلة، وإن زادت على ثلاثين إلى أربعين كتب في المحراب الرابع كإسكندرية ورشيد ودمياط والمحلة ومصر وسنانك من بلاد الروم، وسيروس والمديورة وأكرمور ويزكشهر بأرض الرملية، وإن زادت على أربعين إلى خمسين كتب في المحراب الخامس كإسطمبول وأرنة وبرصة وكابول والعقبة وغزة والقدس، وإن زاد على خمسين إلى ستين كتب في المحراب السادس كعكة وصور وبيروت وقبرص، وإن زادت على ستين إلى سبعين كتب في المحراب السابع كدمشق والشام وطرابلس وأنطاكية وحمص، وإن زادت على سبعين إلى ثمانين كتب في المحراب الثامن كحلب ومالطة، وإن زادت على ثمانين إلى تسعين كتب في المحراب التاسع كبلد الموصل والجزيرة وديار بكر والصقالبة وشيروان.

وأما مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فهي على خط الزوال مستقبلة نقطة الجنوب بين المشرق والمغرب، فإذا أردت وضع بيت الإبرة على الجهات الأربع وهي : الشمال والجنوب والشرق والغرب، فضعها على مكان مستو واكشف عنها غطاءها، وأدخل الكلاب الذي في أسفل الغطاء في الرزة التي تليه، ثم أدر بيت الإبرة يمنة ويسرة حتى تقف الإبرة مسامتة للعلامة التي تحتها في الحفرة، ويكون ذنب الإبرة على ذنب العلامة، ورأسها على رأس العلامة التي تحتها في الحفرة، فإذا صارت كذلك الإبرة موضوعة على الجهات، فجهة الشمال هي التي فيها ذنب الإبرة، وجهة الجنوب هي التي فيها رأس الإبرة، وجهة المشرق عن يسار مستقبل الجنوب، وجهة المغرب عن يمينه.

فمن كان مسافرا وخفيت عليه الجهة التي يسافر إليها فإنه يستدل عليها ببيت الإبرة، وكذلك إن أراد الصلاة في بر أو بحر في بلد أو صحراء فلينظر إلى اسم البلد الذي هو فيه في محراب بيت الإبرة، فإن وجده صلى إلى ذلك المحراب، فإن لم يجده مكتوبا فليصل إلى محراب أقرب البلدان إلى بلده ومكانه الذي هو فيه محراب بيت الإبرة. كما لو كان مثلا بالأسكندرية، ولم يجد محرابها في بيت الإبرة فليصل إلى محراب مصر، وكما لو كان مثلا بجربة ولم يجد محرابها فليصل في محراب طرابلس.

ومن كان بمسجد فليمتحن محرابه بمحراب بيت الإبرة لذاك البلد، فإن وجده موافقا صلى في ذلك المحراب من غير انحراف، وإن وجده مخالفا فليصل فيه منحرفا إلى محراب بيت الإبرة إلا ما كان من مساجد الصحابة رضي الله عنهم، فإنه يصلي فيها على محرابهم كجامع سيدنا عمرو بن العاص بمصر، وجامع القيروان بإفريقية.

وإن أردت معرفة الباقي لزوال الشمس من الساعات والدرج، فضع بيت الإبرة في مكان مستو في الشمس واكشف عنها الغطاء، وأدخل الكلاب في الرزة وثبت الخيط المسامت لخط الزوال، ولا تدعه مرخيا بل تلوي طرفه الأسفل على الكلاب الذي في بيت الإبرة، وثقله بثاقول تعلقه بطرفه المتصل بالغطاء، ثم تحركها حتى تقف الإبرة على علامتها التي تحتها الذنب على الذنب، والرأس على الرأس، ثم تنظر ما قطعه ظل الخيط من الساعات والدرج مبتدئا من خط الزوال إلى ظل الخيط، فما كان فهو الباقي لزوال الشمس إن كنت قبل الزوال، وإن كنت بعده فذلك هو الماضي من الزوال، فإن كنت قبل الزوال ورأيت الباقي للزوال ثلاثين درجة مثلا وعندك رملية وهي المنكاب عند المشارقة وفيها ثلاثون درجة وقبلتها فإذا فرغت كانت الشمس على خط الزوال، وكان ظل الخيط على خط الزوال الذي في بيت الإبرة، فإذا تحول ظل الخيط من خط الزوال إلى جهة المشرق فقد زالت الشمس وكذا لو وجدت الباقي للزوال عشرين درجة وقلبت رملية فيها عشرون درجة، فإذا فرغت فاقلب بعدها درجة ثم امتحن بيت الإبرة بأن تضعها في الشمس، وضعا على صفة ما تقدم وتنظر إلى ظل الخيط فإن وجدته زال عن خط الزوال إلى جهة المشرق فقد زالت الشمس فعملك صحيح ورمليتك صحيحة، وإن كنت في يوم غيم وقرص الشمس ظاهر ولا شعاع فقف خلف غطاء بيت الإبرة، واجعل الخيط بين العينين ثم ارفع بصرك إلى السماء غير ملتفت، فإن رأيت الشمس عن يسارك فالشمس لم تزل، وإن كانت عن يمينك فقد زالت.

وإن أردت معرفة ما بين زوال الشمس وربع القامة من الدرج فاعرف ما يقطعه ظل الخيط من الدرج حين يصل ظل الشاخص إلى ربع القامة فما كان فهو المطلوب، وإن أخذت الارتفاع بربع أو أسطرلاب في ذلك الوقت فما كان فهو ارتفاعها، إذ زاد ربع القامة ربعها فتعدّ بذلك اليومين والثلاثة والأربعة، ثم بعد ذلك تختبره بما فعلت أو لا فتجده إما زائدا وإما ناقصا فاعمل على ذلك اليومين والثلاثة ثم تختبره.

وإن أردت معرفة ما بين الزوال والعصر من الردج، فانظر ما يقطعه الخيط من الدرج حين يصل ظل الشاخص إلى قوس العصر، فما كان فهو المطلوب، فتأخذ ارتفاع الشمس حينئذ فما كان فهو ارتفاع وقت العصر، فإذا عرفت ما بين الزوال والعصر من الدرج وقلبت الرملية من حين صار ظل الخيط على خط الزوال ومضى من الرمل قدر ذلك، فقد دخل وقت العصر، وامتحن ذلك ببيت الإبرة خفية أن يكون ناقصا أو زائدا، فإن فاتك قلب الرملية عند الزوال فانظر بعد ذلك إلى الماضي من الزوال وأسقطه من حصة العصر يبقى الباقي للعصر، واقلب الرمل على ذلك المقدار فإذا انتهى فقد دخل وقت العصر، وامتحن ذلك ببيت الإبرة خيفة أن يكون الرمل ناقصا أو زندا فامتحن قبل فراغ الرمل لعله يكون زائدا أو واقفا ولم تشعر به أو رش، والرش يحصل بسبب عارض في ثقب الفلس الذي ينزل منه الرمل فيصير الرمل ينزل متفرقا غير مجتمع كاجتماع الخيط الملتئم.

هذا الذي ذكرناه، إنما هو إذا كان بيت الإبرة موضوعا لعرض بلدك أو ما قاربه بدرجة أو بدرجتين أي من فضل الدائر في بيت الإبرة.

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

وأما إذا كان موضوعا لغير عرض بلدك وبينهما درجات، فإن كان عرض بلدك أكثر مما تجده فيها قبل الزوال من الدرج فهو أقل من الباقي في عرض بلدك، وكذلك ما تجده بعد الزوال من الدرج إن كانت الشمس في البروج الشمالية وإلا فالبعكس، وإن كان عرض بلدك أقل فعلى العكس هذا بالنسبة إلى الماضي والباقي، وأما بالنسبة إلى زوال الشمس فإن ذلك لا يختلفه اختلاف العروض لأن الخيط الذي في بيت الإبرة مسامت لخط الزوال في السماء في كل بلد إذا كان بيت الإبرة موضوعا على الجهات الأربع، وقع ظل الخيط على خط الزوال الذي في بيت الإبرة فذلك وقت توسط الشمس على خط الزوال في السماء في ذلك البلد، وإن كانت الإبرة على غير عرض ذلك البلد فإذا زال ظل ذلك الخيط عن خط الزوال إلى جهة المشرق فقد زالت الشمس وصارت في جهة المغرب بعد أن كانت في جهة المشرق، فمن قاس ظله بالأقدام متى كان ظل الخيط على خط الزوال فقد حصل أقدام الزوال لذلك اليوم، فإن زاد عليه سبعة أقدام فقد حصل أقدام وقت العصر في ذلك اليوم، فمن قاس ظله بعد الظهر ووجد فيه ذلك الحاصل أو أكثر فقد دخل وقت العصر، وإن وجده أقل فلم يدخل وقت العصر، وإن زاد على أقدام الزوال قدمين فقد حصل الوقت المستحب للظهر في حق الجماعة التي تنتظر غيرها.

وأما الجماعة التي لا تنتظر أحدا والفذ وجماعة صلاة الجمعة فالمستحب لهم أن يصلوا ولا ينتظروا زيادة ربع القامة ظل، وإن كان بيت الإبرة لعرض هو أكثر من عرض بلدك، فإذا وصل ظل الشاخص إلى قوس العصر فقد تمكن وقت العصر في بلدك، وإن كان عرض بلدك أكثر، فإذا وصل ظل الشاخص إلى قوس العصر فلا تصل العصر حتى يتمكن الوقت ويجاوز ظل الشاخص قوس العصر، وذلك بحسب كثرة الاختلاف بين العرضين وقلته، أعني عرض بلدك وعرض البلد الذي وضع له بيت الإبرة.

مثال ذلك : في بيت إبرة موضوعة لعرض ثلاثين كمصر، سافر بها شخص إلى عرض واحد وأربعين كإسطمبول وبإزائها كدرنة وبرصة، فإذا بلغ ظل الشاخص إلى خط العصر لم يحكم بدخول وقت العصر لأن ظل الزوال في البلاد الكثيرة العرض أكثر، فيصل ظل الشاخص إلى قوس العصر الموضوع بسُرعة قبل مضي حصة العصر بإسطمبول، لأن ظل الزوال بإسطمبول يبلغ القامتين ويزاد عليه قامة يكون ثلاث قامات، فهي ظل وقت العصر بإسطمبول في أول دجنبر، وفي مصر يكون وقت ظل العصر قامتين وقدمين وذلك ست عشرة قدما في أول دجنبر، فقد تبين لك الاختلاف بين عرض مصر وإسطمبول، فلو سافر (أي ببيت الإبرة) بها إنسان إلى مكة المشرفة فإن ظل الشاخص إذا وصل قوس العصر فقد تمكن وقت العصر بمكة، وكذلك بالمدينة المشرفة، وقس على هذا.

وإن أردت استخراج حصة ظل الزوال في جدار أو أرض، فاجعل شاخصا محدد الرأس في أرض أو جدار قائم وتكون الشمس عليه قبل الزوال وبعده، ثم إذا كان ظل الشاخص الذي في طرف الإبرة وخط عليه خطا، فذلك الخط هو خط الزوال أبدا، وإن وضعت خيطا في بلاط، ثم جعلت فيه شاخصا ثم تحرك البلاطة يمينا ويسارا حتى يقع الشاخص عليه، تفعل ذلك إذا كان ظل خيط بيت الإبرة على خط الزوال، وثبت البلاطة بجص أو جير تصير مزولة للظهر أبدا.

الأخلاق الإسلامية في المدارس العتيقة بالمغرب

■ إعداد الأستاذ: عبد العزيز محمد

أولا: أرضية لابد منها

يعرف المجتمع الإسلامي بصفة عامة، والمغربي بصفة خاصة تغيرات جذرية على مستوى التحولات الثقافية والسوسيولوجية والاقتصادية، لما طرأ عليه . خلال العقود الثلاثة الأخيرة . من تقدم تكنولوجي وإعلامي الوافد عليه . رغما عنه . من خارج حدوده وجغرافيته.

وبتغيير العقول والأفكار تتهلهل . تبعا لذلك . العلاقات الاجتماعية والأسرية، وبالتالي وسائل العيش، ونمط البحث عن المال لتحقيق الذات ومحاولة تخطي عتبة الفقر للوصول إلى مصف الوارفين في ظلال الرفاهية والعيش الرغيد، ضاربين عرض الحائط المقومات الأخلاقية، والخصائص التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي التي يدعو إليها القرآن الكريم والسنة النبوية والسلف الصالح.

وإذا كان هذا الموضوع يتطلب دراسة معمقة لاكتشاف الجوانب الخفية فيه، فإن ذلك لا يعفي الباحث من تسليط الضوء على بعض جوانبه لإثارة شهية الطالب إلى معالجته ودراسته دراسة أكاديمية تميط اللثام عن المكونات الأخلاقية ومنهجية تدريسها لدى تلاميذ المدرسة القرآنية في المدارس العتيقة المغربية.

ثانيا: خصائص المجتمع الإسلامي

ومن أبرز خصائص المجتمع الإسلامي:

1. انه يقوم على الإيمان بالله وبأنبيائه ورسله وكتبه واليوم الآخر، فهو مجتمع التوحيد، ويدعو إلى الوحدة الدينية، ووحدة المصير، فالتوحيد يجمع "الموحدين" في رابطة واحدة، هي رابطة العبودية لله رب العالمين، وجاء القرآن ليؤكد هذه الرابطة بخطاب واحد موحد في عبارة "يأيها الذين آمنوا" بغض النظر عن اللون أو الجنس أو الهوية الجغرافية.

2. إن الإسلام يجعل من الدين أهمية كبرى في كل قضايا الإنسان الحياتية.

فمنه المنطلق، وإليه المرجع: (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تاويلا".

3. إن الإسلام يعلي من شأن العلم والتعليم والتعلم، ويجعله وسيلة من وسائل تثبيت العقيدة وتدعيم الإيمان بالله عزوجل، وسبيلا إلى التحكم في الطبيعة وجعلها في خدمة الإنسان، وتحسين معيشته.

4. إن الإسلام يكرم الإنسان ويدعوه إلى تمتعه بحقوقه وكرامته، في حدود شرع الله. كما يدعوه إلى احترام الآخر، وحسن الاستماع إليه، والاختلاف في الآراء والمعتقدات مادام ذلك لايعرقل الخطوط العريضة للجماعة الإسلامية.

5. يعطي الأهمية القصوى لبناء أسرة نظيفة، وتماسكها وتدعيهما على أسس قوية من العدل والمودة والرحمة والتكريم وحسن المعاشرة، وجعل الزوجة شريكة الرجل في مسؤولية بناء البيت، وتأسيس مجتمع سالم من التلوث بكافة أشكاله وصوره.

6. يحث على العمل، ويعتبره معيارا لإنسانية الإنسان وكرامته. فالإنسان الذي يكسب رزقه من حلال لينفقه في بناء أسرته يساهم في تشييد مجتمع صحي متوازن وسليم.

7. يقدر قيمة المال في الحفاظ على ماء الوجه. فالمال، وإن كان يرجع تمليكه إلى الله عز وجل فهو في يد الإنسان على سبيل الوديعة، له حق التدبير والتسيير، ويحاسب عليه من جهة مصدره وإنفاقه، فالملكية الخاصة مكفولة إذا توفرت فيها الشروط التالية:

. أن تكون من مصدر شرعي.

. أن تتحرك باستمرار: بإخراج الزكاة، وإعادة توزيع الثروة بالارث.

. الاتفاق منه في حدود الشريعة دون إفراط ولا تفريط.

8. المجتمع الإسلامي مجتمع متفتح على غيره من الثقافات شريطة توفره على حصانة إيمانية كفيلة لكي لايذوب في التبعية والتقليد الأعمي الذي يخرجه عن الصراط المستقيم.

9. وهو مجتمع إنساني متراحم، متعاون، يقيم العلاقات المجتمعية على أساس إنساني، قوامه المودة، والتراحم والتعاطف والتكافل، والنجدة، وصلة الرحم، والإحسان إلى الجار، والاحساس بالمظلوم، والتكفل باليتيم والشيخ الهرم، يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في حدود طاقته ودائرة اختصاصه.

10. مجتمع يعطي للأخلاق حصة للأسد من التأطير والعناية والرعاية، يخضع جميع أنشطته لقواعد أخلاقية إنسانية واضحة، ويربطها بالدين، بل يعتبرها الجانب العملي والتطبيقي للدين انطلاقا من مبدأ "الاحسان" الدعامة الثالثة لهذه الحنفية السمحاء، بعد الإسلام والإيمان.

وقد عمل الإسلام على تنمية "الفضائل الأخلاقية"وتجذير قواعدها وأسسها في المجتمع الإسلامي بكل الوسائل انطلاقا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وهي دعوة صريحة بأن "مكارم الأخلاق" مبدأ عالمي و اهتمت به جميع الديانات السماوية، وتبناه الأنبياء والمرسلون والمصلحون والمربون على مر العصور والدهور، وهو أساس لبناء الحضارات، واستمرار الشعوب. والاستخفاف بها، والتهاون في التحلي بها والتخلي عن أضدادها إنذار بتلاشي الأمم واندحار الثقافات ووعيد بهلاك المخلوقات.

إنما الأمم الأخلاق مابقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

ثالثا: مكارم الأخلاق ثلاثة:

وإذا كانت مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تبليغ مايوحى إليه لأمته، هو تتميم مكارم الأخلاق. ولما كان عليه الصلاة والسلام يتلمس مبادئ الأخلاق في القرآن الكريم، ويبادر إلى التخلق بها والتحلي بأنوارها "كان خلقه القرآن"، فإن كتاب الله تعالى يزخر بالدلالات الخلقية والإشارات التهذيبية، مما جعل أحد العلماء (عبد الله دراز رحمه الله) يجعل منها كتابا مستقلا هو "دستور الأخلاق في القرآن الكريم".

فلا بأس أن نختار واحدة من هذه الآيات، ولتكن آية 199 من سورة الأعراف لبسط مدلولها، وتقريب مفهومها، في محاولة للتخلق بمفهومها، والتحلي بفضائلها، تلكم هي قوله تعالى: (خذ العفو، وأمر بالعرف، واعرض عن الجاهلين).

وهي الآية التي فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل جابر بن سليم أبو جري لما جاءه من خارج مكة، يشتكي من أخلاق سكان البادية، وجفاء طبعهم، وقساوة قلوبهم، ففي الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي ج 345/6 قصة هذا الصحابي الذي يقول:

"ركبت قعودي، ثم أتيت مكة، فطلبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنحت قعودي بباب المسجد، فقلت: السلام عليكم يارسول الله، فقال: وعليك السلام. فقلت: إنا معشر أهل البادية، قوم فينا الجفاء، فعلمني كلمات ينفعني الله بها. فقال: "ادن"ثلاثا، فقال: "أعد علي" فأعدت عليه.قال:

1. "اتق الله
2. ولا تحقر من المعروف شيئا
3. وأن تلقى أخاك بوجه منبسط
4. وأن تفرغ دلولك في إناء المستسقي
5. وإن امرؤ ساءك بما لايعلم منك، فلا تسبه بما تعلم منه، فإن الله جاعل لك أجرا وعليه وزرا.
6. ولاتسبن شيئا مما خولك الله تعالى"

قال ابن جري: فوالذي نفسي بيده، ماسببت شاة ولابعيرا.

فالعناصر الستة المذكورة في الحديث مجموعة في آية الأعراف المتضمنة لمجموعها وهي:

1. خذ العفو

ومن معاني العفو في اللغة: الصفح والمسامحة، لقوله تعالى : (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم). ويقال: "العفو عند المقدرة" ويوخذ من مضمون "العفو" في الآية:

العفو عن المذنبين، وصلة القاطعين، والرفق بالمومنين، والانفاق على المحتاجين، والمراد به: أن من الآداب التي يدعو الدين الإسلامي إليها: اليسر،وتجنب الجرح، ومايشق على الناس،وهو رد على الفقهاء المتشددين، والصوفية الجامدين الذين لم يستوعبوا مقاصد الشريعة، فتبنوا التشديد، وتركوا التيسير الذي كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ينادي به وينشده دروسه وخطبه "إن هذا الدين يسر، ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا"

وإذا كان الإسلام عدو الانحلال والتفسخ الأخلاقي، فإنه في نفس الوقت عدو التشدد والتزمت والرهبانية.

فالأخذ بالرفق في مرافق الحياة الخاصة والعامة، من مقاصد الشريعة ومكارم أخلاقها، فمقابلة الغضب بالصمت يدفع الخصم إلى التراجع عن نواياه، وأن يعترف بالفضل، ويقترب من المصالحة والمسامحة وطلب العفو يقول الشاعر:

خذ العفو مني تستدري مودتي
ولاتنطقي في سورتي حين أغضب

الأمر بالمعروف

العرف والمعروف، هو كل خصلة حسنة يرتضيها العقل، وتطمئن إليها النفس، يقول الله تعالى في وصف المومنين: "والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر".

ويقول الشاعر:

من يفعل المعروف لايعدم جوازيه
لايذهب العرف بين الله والناس

ويدخل في هذا الأصل: حسن الصحبة بين الأهل والأصدقاء والجيران، وغض البصر، وصلة الرحم، وتقوى الله في الحلال والحرام.

ولقد حثنا الله سبحانه وتعالى على الرجوع إلى قلوبنا وضمائرنا نسألها في تفكر وتأمل وتدبر عن مسالك المعروف وذويه لنهتدي إلى معرفة الحق وسبيل الفطرة.

(ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "استفت قلبك وإن أفتاك الناس".

فالقلب إذا صفا من الأكدار، وخلا من الشواغل والمشاكل، وتجرد من الشهوات، تذكر ما وقر فيه من فطرة ترجع الانسان لإنسانيته وفطرته.

وإذا كان المجتمع مومنا بالأخلاق الفطرية، فإنها تصير . بتطبيقها في مجال حياته . "معروفة" لديه. ومن ثم جاء مصطلح "العرف" في الشريعة كمجموعة من العادات الحسنة المنبثقة من الفطرة والتي لاتعارض "المنكر" فصارت مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي.

الاعراض عن الجاهلين:

الجاهلون هم السفهاء. والإعراض عنهم: البعد عن معاشرتهم، يقول الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه
فإن خير إجابته السكوت

والجهل في الآية معناه "خلق الجاهلية" التي تقابل: هدوء النفس، والاعتدال في اتخاذ القرار، والتسلح بالعمل الصالح، ولذلك وصف الله تعالى عباد الرحمان فقال: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجهلون قالوا سلاما).

وهذه المبادئ الثلاثة المجموعة في الآية السابقة نظمها أحد الظرفاء فقال:

مكارم الأخلاق في ثلاثة من كملت فيه فذلك الفتى
إعطاء من تحرمه ووصل من تقطعه والعفو عمن اعتدى.

التربية الإسلامية عند أبي حامد الغزالي

■ إعداد: عثمان بخضراء

■ إن تعريف التربية تعريفا يتفق عليه سائر المربين ليس أمرا سهلا . ذلك أنه من خلال تعريف التربية سيتحدد اتجاه التربية التي تبناها المربي . ولعل التعاريف المتداولة للتربية هي « أن نأخذ الطفل من حيث هو لنصل به حيث نريد»

والواقع أن كل تربية تستند إلى نظرة عامة إلى الحياة ونظرة عامة إلى الإنسان ونظرة فلسفية إلى الوجود !

وإذا نظرنا إلى أهداف التربية الإسلامية رأينا أن هدف المسلمين لم يكن دنيونا بحتا كما عند اليونان والرومان، ولم يكن دينيا بحتا كما عند اليهود . وإنما كان هدف التربية الإسلامية دينيا ودنيويا . وكلام القرآن الكريم يثبت ذلك :

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا»

ولا شك أن المسلمين الأوائل قد تربوا تربيتهم الأولى ونشأتهم الفكرية على يد الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي صاغ عقولهم ونفوسهم من جديد . فهو المعلم الأول . «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»

فالقرآن الكريم الذي أنزل على الرسول والتقيد بتعاليمه والتخلق بأخلاق الرسول الذي وصفه الله تعالى في كتابه الكريم قائلا : «وإنك لعلى خلق عظيم» كان هدف المسلمين في الماضي والحاضر.

وعندما تحقق هذا الهدف صلح أمر دينهم ودنياهم، فتقدموا في كافة مجالات العلم واستطاعوا أن يشيدوا حضارة رائعة عم نورها العالم بأسره.

وبما أن الإسلام قد دعا إلى علوم الدنيا والدين، لذلك فإن المربين المسلمين كانوا يبحثون عن أفضل الطرق لإيصال هذه العلوم إلى المسلمين . ومن كبار المربين في هذا الحقل الإمام أبي حامد الغزالي .

وقد ولد هذا الإمام الكبير سنة 450 هجرية . 1085 ميلادية في مدينة طوس ثم انتقل إلى نيسابور حيث اتصل بإمام الحرمين أبي المعالي (ضياء الدين الجويني) شيخ زمانه وإمام الشافعية ودرس عليه الفقه والأصول، وقد ترك الجويني أثرا كبيرا في نفسه . ولم ينفصل الغزالي عن أستاذه إلا بعد موته . ثم خرج من نيسابور وتعرف بالوزير نظام الملك الذي أوكل إليه التدريس بمدرسته النظامية في بغداد واستمر في ذلك أربع سنوات ترك بعدها بغداد لينتقل بين مختلف البلاد العربية.

عاش الغزالي حياته كلها واعظا ومعلما ومرشدا ولذلك فإن آراءه التربوية تركت بصماتها في تاريخ التربية الإسلامية . فالغزالي يرى أن صناعة التعليم من أشرف الصناعات لأن المعلم متصرف في قلوب البشر، ولا يخفى أن أشرف مخلوق هو الإنسان، وأن أشرف شيء في الإنسان هو قلبه . والمعلم مشتغل بتكميله وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله تعالى فالإمام الغزالي من كبار المفكرين الذين نفذوا إلى أعماق النفس ومارسوا التعليم بعمق ودراية وحكمة وعلم . ويبني رأيه في فطرة العقل على نظرة عميقة في النفس الإنسانية وفهم واع بطبيعة الطفل.

إنه يقول : « الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه . فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب . وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له» (من إحياء علوم الدين).

وقد سار في هذا الاتجاه أصحاب المدرسة التجريبية أمثال دفيد هيوم، ولوك، الذين يرون أن النفس صفحة بيضاء خالية من أي نقش :

إن وجود الإنسان له وجهان : وجه حقيقي ووجه زائف . أما الوجه الحقيقي فمرتبط بالمحتوى مباشرة، ومتوقف عليه . وأما الوجه الزائف فمتعلق بالشكل الذي فقد محتواه . وإن رجل العلم قيمة تعتمد في وجودها على العلم، لا على الرجل، فالمحتوى هو الذي يعطي للشكل وجوده الحق ويمنحه ضدرجة في سلم القيم الوجودية، والعكس ليس صحيحا إن الشكل ليس مصدر حياة المحتوى، ليس رافعا ولا خافضا لدرجته في سلم القيم .

«إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»

(رواه البخاري ومسلم ضمن الأحاديث النبوية الصحيحة)

ولهذا فإن الغزالي يؤمن بقبول الأخلاق للتغير . ولقد عارض من قال : إن الأخلاق لا تتغير، وأنها من مقتضى المزاج والطبع فقال :

« لو كانت الأخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « حسنوا أخلاقكم»

لكن الغزالي لا يغلو غلو أصحاب المدرسة التجريبية إلى حد إنكار الاستعدادات الموروثة، بل يرى بفكره الثاقب أن للتربية حدود وفي هذا يقول : « إن النواة ليست بتفاح ولا نخل قبل أن نتهدها بالغرس والتربية، وعلى أن التربية لا يمكنها أن تغير من استعداد النواة لقبول بعض الأحوال فتجعل من نواة النخل تفاحا وبالعكس...»

فهو لم يعط التربية قدرة كبيرة قادرة على كل شيء، ولا مذهب المربين المسيحيين الذين يرون أن الطبيعة البشرية فاسدة يجب قمعها، بل رأى أن للشهوات والغرائز وظيفتها وأن الخير والشر فيها على حد سواء، وليس غرض التربية قمعها بل حسن توجيهها . وهو بهذا يبين حدود التربية، فهو لم يعطها قوة خارقة كما لم ينكر دورها وأثرها في توجيه الطبائع البشرية والغرائز الإنسانية، نحو المسار الصحيح.

ومن هذا المنطلق يجعل الغزالي للتربية قيمة أساسية ويرى أن للمعاشرة تأثيرا بالغا فعلى الولي أو القيم أن يتعهد الصبي بعنايته ويسهر على : « صيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها ...» (إحياء علوم الدين)

«ومهما رأى فيه مخايل التمييز، فينبغي أن يحسن مراقبته، وأول ذلك ظهور أوائل الحياة، فإنه إذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا . ومخالفا للبعض . ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن الكريم وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ... وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا . وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب . فإن منع الصبي من اللعب وإرغامه إلى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا»

وهكذا يدرك الغزالي قيمة اللعب والترويح ودورهما في نشاط الجسم وحيويته، كما يولي للتربية الأخلاقية دورا كبيرا ليس عن طريق الأمر والنهي، بل يرى أن أفضل طريقة للتأثير في الطفل هي طريقة المعاناة للعمل الخلقي منذ نعومة أظفاره قولا وعملا :

« فمن أراد أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف فعل الجواد وهو بذل المال... وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة، وهو فيها يجاهل نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحمودة تحصل بهذا الطريق» (إحياء علوم الدين).

وهكذا يبدو لنا الإمام الغزالي من خلال آرائه التربوية أنه من كبار المفكرين الذي خبروا النفس الإنسانية ووعوا الطبيعة البشرية فأرشدنا الطريق القويم لنصل بالأجيال نحو الغاية المرجوة.

ولعل أفضل ما نتحف به قراء «ميثاق الرابطة» الغراء قول أعجب به العلامة عبد الرحمن بن خلدون ووجده مثلا أعلى في التربية والذي سأخصه بدراسة مماثلة في الموضوع، قال : «ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين، فقال : يا أحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه . أقرئه القرآن الكريم وعرفه الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا في أوقاته.

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

محنة العراق

■ على صفحات جريدة الأهرام الدولية لفت انتباهي مقال تحت عنوان : حكاية الأمة التي احتار العلماء في سبب غنائها، استهله كاتبه : أشرف عبد المنعم بهذه الديباجة :

يحكى أن أمة عريقة عاشت على مساحة هائلة من الأرض في حقبة زمنية معينة وكانت كلما تعرضت لهزيمة مدوية راحت تغني وقد احتار علماء التاريخ والآثار معا في اكتشاف أسباب غناء هذه الأمة بهذا الشكل وبهذه الكثافة، هذه الحقيقة تنطبق تماما على ما يحدث في بلاد العرب والمسلمين .. وخاصة في فلسطين والعراق، ففي فلسطين تمزق طائرات الأرى با تشي الإسرائيلية أجساد الأطفال وأمهاتهم، وفي العراق يقصف المسلمون بالقنابل العنقودية، وتدمر البيوت وتحاصر المدن وتحدث هذه الجرائم والناس في لهوهم غافلون، وتتوالى المآسي والمشاهد الحزينة في الفالوجة وتنطلق طائرات "اف 16" و "إ ف 18"، كل شيء يتحرك على الأرض بدون تمييز، وتسيل الدماء ويتعالى صراخ الأطفال، ولكن لا يسمعهم أحد. فالناس ومشاهدو التلفزيون تحدق أعينهم على مشاهد العرب ولي البطون لا تهتز لهم شعرة، ولا يخطر ببالهم مشهد طفل عراقي أو فلسطيني غارقا في دمائه يلتوي في الألم وكيف يحسون به وهم يستمعون بغنج الراقصات والمائعات، وهن يطلقن العنان لأصواتهن الرديئة التي لا تمت إلى الطرب بصلة.

لقد شاهدت عبر القنوات حصار الفالوجة وفواجعه وضغطت على زر التلفزيون علني أشاهد وأسمع تعليقا على ما يحز في النفس من مشاهد القتل والتدمير لكني فوجئت بإحدى القنوات وهي تقدم معرضا للغانيات اللاتي يحجبهن شيء عن إغراءات الجسد العاري وكأنهم في صالات ملهى أو " كباريه" عمومي يتفنن في تقديم النساء عرايا لزبنائه وأعادني زر التلفزيون إلى الفالوجة التي كانت بيوتها تحترق بالقصف والقنابل الحارقة دون أن تسلم مآذن مساجدها، ومن فوق هذه المآذن ارتفعت أصوات التكبير والتهليل ثم حل وقت نشرة الأخبار، فإذا بي أسمع خبرا يزيد من هول وتفتيت وحدة العراق، ذلك أن المتعاونين مع المحتل أزمعوا على تغيير علم بلادهم باستبداله بعلم لا يختلف عن علم يشير بخطوطه الزرقاء الشعار المعروف لدولة الصهاينة من الفرات إلى النيل ، وزادوا عليه خطا أصفر زعموا أنه يرمز إلى دولة الأكراد وربما كان الهدف الحقيقي لتغيير العلم هو محو كلمة "الله أكبر" التي كانت تتوسط علم العراق الحقيقي.

وهكذا تتوالى ضربات المحتلين على العراق البلد الإسلامي الذي لا يحتفظ بأسلحة الدمار الشامل، وفي آخر المطاف رجعت إلى مقال الأهرام الذي ختمه كاتبه قائلا:

لا لم يثبت علميا أو تاريخيا حتى الآن أن واجهت أمة مصائبها بأغنيات هزيلة مائعة لا علاقة لها بهذه المصائب من قريب أو بعيد إلى هذا الحد.

نص العرض الذي قدمته الأستاذة ربيعة بنويس لنيل دكتوراه الدولة في الآداب بتاريخ 2004/01/23

الشعر الصوفي بتازة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين من خلال شعر إبراهيم التازي، وابن يجبش التازي وأحمد زروق

الحلقة الثانية

■ الأستاذة ربيعة بنويس كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن طفيل / القنيطرة

■ ورغم كون المديح النبوي من أهم الأغراض المطروقة عند متصوفة تازة المدروسين، فإن معجمهم فيه لم يختلف عن غيره عند شعراء هذا اللون إلا قليلا، فتحدثوا عن مولده عليه السلام وصفاته وأخلاقه ومعجزاته، آملين من وراء كل ذلك نيل شفاعته، يقول ابن يجبش :

وخير الورى يوم القيامة شافع × فهو لنا نعم الطبيب لشربه

شفاعته طب لداء ذنوبنا × بحرمته أرجو الدخول لجنة (6)

فمعجم المديح النبوي عند هؤلاء الشعراء ظل في الغالب راكدا جامدا دون أن يتطور، سيطر عليه معجم السيرة النبوية المعتمد أساسا على ما ورد في القصائد المدحية المشهورة عند البوصيري والشقراطيسي وغيرهما، لذلك جاء الأسلوب ميالا إلى السرد والتقرير، تقل فيه الصور الشعرية التي جنحت في الغالب نحو البساطة والسطحية، بحيث لم يستطع شعراؤنا الابتعاد عن عالم المحسوسات إلى عالم الغيبيات رغم كون التصوف ابتعادا عن عالم الواقع إلى عالم أرحب تختفي فيه المادة والحواس، ولعل هذا ما حاول ابن خلدون أن يعبر عنه في مقدمته حين قال : " كان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الإجادة في الغالب، ولا يحذق فيه إلا الفحول، وفي القليل على العشر، لأن معانيها متداولة بين الجمهور، فتصير مبتذلة لذلك" (7).

وقد يكون في الظرف السياسي الذي عاشه هؤلاء الشعراء ما يبرر بساطتهم وسطحيتهم في هذا اللون الشعري، فخلال القرن التاسع والعاشر الهجريين، تراجعت القيم الدينية، وسيطر الأجانب على الموانئ والثغور المغربية، وتم التلاعب بالمقدسات الدينية الإسلامية، وخاصة منها المساجد التي يذكر ويرفع فيها اسم الله، لذلك فتلك النبويات والمولديات كانت بهدف رد الاعتبار للإسلام متمثلا في شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وتدوين سيرته العطرة وتخليد شمائله النبيلة حتى تكون الناقوس الذي يدق على ذاكرة المسلمين ويعود بهم إلى الدين الصحيح، وتكون القدوة والعروة الوثقى التي عليهم الاستمساك بها حتى يتعاونوا ويتحدوا للجهاد ومحاربة الكفر.

وهناك ملاحظة أساسية لابد من الإشارة إليها، وهو أن البناء المعجمي لكل الأغراض والمواضيع التي طرقها هؤلاء الشعراء سواء أكان عاديا أم صبغته بعض اللمحات الصوفية والإشارات الوجدانية التي تحاول بلورة الأحاسيس الرقيقة المتصارعة داخل أعماق هذا الشاعر أو ذاك، فإنه لا يستغني بأي حال من الأحوال عن الذاكرة الدينية والأدبية بشكل عام، وذلك من خلال الاعتماد على التضمين الذي هو ظاهرة بديعية تأخذ طريقها إلى أشعار الشعراء بنسب متفاوتة، وذلك انطلاقا من المحفوظ الذي تمتلئ به ذاكرة الشاعر لهذا كان شعر الفقهاء، وشعراؤنا منهم، أكثر اعتمادا على الذاكرة الدينية بما تتضمنه من نصوص قرآنية أو أحاديث نبوية أو شيئا من العلوم الإسلامية والصوفية المكتنزة في ذاكرتهم، دون أن يعني هذا عدم الاهتمام بالموروث الشعري والاقتباس منه، سواء أكان قديما أم حديثا، سواء أصدر عن فقيه أم صوفي أم أديب، مما يدل على محفوظهم الثر والمتنوع، وتشعب موارد ثقافتهم.

واعتبارا للانتماء الفكري لشعرائنا الثلاثة، وللظروف السياسية والاجتماعية التي عايشوها، نخلص إلى أن اللغة عندهم كانت تستمد مقومات وجودها بالدرجة الأولى من الثقافة الإسلامية، ومن المذهب الصوفي الشاذلي الذي تميز بالاعتدال والاعتماد على الكتاب والسنة في طقوسه وممارساته، لذلك تميزت لغتهم بالبساطة والوضوح والواقعية، إلا في بعض الأبيات التي يعتمد فيها الشاعر الرمزية وإن كانت رمزية بسيطة لمسناها خاصة في الحب الإلهي الذي عبروا عنه باللجوء إلى شعر الخمر أو الغزل الصوفي الذي استمد مادته من الغزل عموما.

وانطلاقا من الوضوح والبساطة التي ميزت الخطابة الشعرية لشعرائنا الثلاثة المدروسين، استطعنا أن نصل إلى أن لغة هذا الشعر لغة تخدم المضمون على حساب الجانب الفني الجمالي، وهو مضمون لا يبتعد في عمومه عن الأغراض الصوفية من حب إلهي وغزل صوفي ودعوة إلى الجهاد وشعر في الزهد والتوسل والمديح النبوي وغيرها.

ومع ذلك، جاءت عباراتهم رقيقة ولغتهم مؤثرة نابعة من العاطفة القوية التي يمتلكونها، وهي عاطفة مشوبة بالأحاسيس الروحية العميقة، تتميز بالصدق الذي يعكس صدق أصحابها في التعبير عن معاناتهم ومواجيدهم وحبهم اتجاه معبودهم الله عز وجل، واتجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، لذلك كان حظ الخيال عند هؤلاء الشعراء، بل عند شعراء القرنين التاسع والعاشر الهجريين ضعيفا، فكانت صورهم الشعرية . على قلتها . عبارة عن اجترار وتكرار لصور مستهلكة.

وعموما، فقد حاولت في إنجاز هذا العمل أن أعتمد منهجا يستجيب إلى التراث تحقيقا ودراسة، خصوصا وأن جل المادة موزعة بين مخطوطات الخزانات المغربية، لذلك كانت الانطلاقة من جمع النصوص من مصادرها ومقابلة بعضها ببعض إذا توفرت النسخ، ثم محاولة ضبط النصوص المفردة ومحاولة إخراجها في شكل تقريبي لما أراده منتجها، وبعد ذلك قمت بفهرسة القصائد والمقطوعات من خلال ترتيبها على روي قوافيها، وقد يظهر لكم هذا من خلال الملحق الشعري، ثم بينت الوزن الذي تنتمي إليه.

وتماشيا مع المادة المتوافر عليها، كان من الضروري القيام بتصنيف لتلك المادة حسب مواضيعها، ثم وصفها وتحليلها ودراستها، وذلك ضمن خطة واضحة وشاملة، تمثلت في مدخل عام وثلاثة أبواب يدخل تحتها مجموعة من الفصول والمباحث وبعض التفريعات الجزئية، مهدت لها أحيانا بتوطئات تبين مضمون الفصول والمباحث، وأحيانا أختم العنصر بسؤال يكون عبارة عن مدخل للعنصر الموالي، تلك التوطئات والأسئلة كانت بمثابة الجسور التي تربط بين القارئ وبين مضامين الدراسة ومحتوياتها.

ففي المدخل الذي كان تحت عنوان "الوضع الثقافي والحضاري العام بالمغرب خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين وانعكاسه عل متصوفة تازة "، حاولت وضع الشعراء الثلاثة المدروسين ضمن الإطار الثقافي والفكري الذي نشأوا فيه وتمخض عنه إنتاجهم الفكري عموما والشعري على الخصوص، ذلك أن هذا الإنتاج لم يكن وليد الصدفة، بل أنجبته مجموعة من العوامل المتضافرة، سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية، أثرت فيهم وفي تصوفهم ودرجة إبداعهم في هذا التصوف، وقد تضمن هذا المدخل أربع مباحث، تناول الأول الوضع السياسي والاقتصادي، والثاني الوضع الاجتماعي والعمراني، والثالث الوضع الثقافي الفكري، متحدثا خلال ذلك عن الصلات الثقافية بين أقطار المغرب العربي، أما المبحث الرابع فاهتم بالوضع الديني، مركزا على أهمية المساجد والمدارس والزوايا في تشجيع الحركة العلمية.

وتناولت في الباب الأول الحركة الفكرية والأدبية بمدينة تازة ومدى تأثرها بالفكر الصوفي، وتضمن هذا الباب ثلاثة فصول، اهتم الفصل الأول بصورة الأدب والفكر بهذه المدينة من خلال ثلاثة مباحث، ركز الأول على القيمة السياسية والحضارية للمدينة، والثاني على مكانتها العلمية، والثالث على الجانب الأدبي من خلال بعض الأعلام المنتسبين لها . أما الفصل الثاني فتناول الشعر الصوفي، فمفهومه واتجاهاته، وذلك من خلال ثلاثة مباحث أيضا، حاول الأول إعطاء مفهوم للتصرف، بينما اهتم الثاني بذكر بعض اتجاهات الشعر الصوفي، ليركز المبحث الثالث على التصوف المغربي السني من خلال بعض أعلامه. أما الفصل الثالث، فتناول الشعر الصوفي بمدينة تازة من خلال الأعلام المدروسين، وقسّم هو الآخر إلى ثلاثة مباحث، اهتم الأول بالشيخ إبراهيم التازي، والثاني بالشيخ ابن يجبش التازي، والثالث بالشيخ أحمد زروق.

أما الباب الثاني، فاهتم بالقضايا الموضوعية التي تميز بها شعر هؤلاء المتصوفة، وذلك من خلال فصلين، تناول الأول مجالات التصوف، وذلك من خلال أربع مباحث، ركز الأول على التصوف والأخلاق، والثاني على التصوف والجهادين الأكبر والأصغر، والثالث على شعر التوسل والرجاء، والرابع على زيارة الأولياء والصالحين. أما الفصل الثاني فتناول التصوف وبعض الأغراض الشعرية الأخرى ، وذلك من خلال ثلاثة مباحث، خص الأول للتصوف والمديح النبوي، والثاني للتصوف والمدح، والثالث للغزل الصوفي

أما الباب الثالث فخصصته للظواهر الفنية في شعر متصوفة تازة المدروسين، وذلك من خلال ثلاثة فصول، تناول الأول البناء الشكلي للقصيدة عند هؤلاء المتصوفة، وذلك انطلاقا من أربعة مباحث، تطرق الأول للقصائد، والثاني للمقطوعات، والثالث للتشطيرات والتخميسات والمعارضات، والرابع للمنظومات. تناول الفصل الثاني الموسيقى الشعرية من خلال مبحثين ركز الأول على الأوزان والقوافي واهتم الثاني بالصنعة اللفظية. في حين كان محور الفصل الثالث دراسة الأسلوب الشعري المتوسل به عند الشعراء الثلاثة المدروسين، وذلك من خلال أربعة مباحث، تضمن الأول الحديث عن المعجم، والثاني الاقتباس والتضمين، والثالث التركيب النحوي، أما الرابع والأخير فاهتم بالصورة الشعرية.

وأنهيت الموضوع بخاتمة كانت عبارة عن استنتاجات عامة وخلاصات لما أسفر عنه البحث من خلال موضوعاته المختلفة والمتنوعة. كما ذيلت هذا العمل بملحق شعري للقصائد والمقطوعات والمنظومات التي تمكنت من الحصول عليها للشعراء الثلاثة

وسيسهم هذا البحث، لا محالة، في إغناء المكتبة المغربية وفتح آفاق جديدة أمام الباحثين والدارسين للاهتمام بشخصيات شعرية متميزة طالما أغفلها التاريخ وعفت عنها الذاكرة الأدبية المغربية.

(انتهى)

مؤسسة التوثيق العدلي بين أصالة التشريع وعوائق التحديث

■ إعداد الأستاذ: الطيب لمنور

■ لقد أصبح الكلام عن التوثيق العدلي غاية في الأهمية أكثر من أي وقت مضى سيما بعد الشروع في العمل بمقتضيات مدونة الأسرة وما استصحب التطبيق العملي لهذا القانون من إشكاليات وصعوبات فاجأت القضاة والمحامين والعدول فضلا عن المخاطبين الملزمين بأحكامه.

وإذا كان قانون مدونة الأسرة على مستوى المضمون محل إجماع وطني لما حققه المشرع المغربي من إنجاز فعال وجريء ساهم به في تلميع صورة المغرب من حيث ترسانته القانونية التي باتت تتخذ بعدا عالميا وتزداد انسجاما من حين لآخر مع المواثيق الدولية دون المساس بالخصوصية الإسلامية، فإن هذا القانون على مستوى الشكل لايزال محل تساؤل وسيبقى كذلك طالما تنبه المسؤولون إلى ضرورة توسيع دائرة الحوار وإشراك الأطراف المعنية قبل الإقدام على أي تشريع أو تعديل.

وعليه فمؤسسة التوثيق العدلي نظام إسلامي أصيل وعريق يوجد بالمغرب منذ عصر الموحدين، وقد كان للشريعة الإسلامية الدور البارز والأثر البالغ في صياغة أحكامه وتثبيت قواعده، وتعتبر آية المداينة الاصل الاصيل والدليل القاطع على مشروعيته (يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولايبخس منه شيئا) صدق الله العظيم. من الآية الكريمة استمد علماء الأمة مبادئ التوثيق وأحكام الشهادة، هذان الأخيران (التوثيق والشهادة) اللذان يعتبران وجهين لعملة واحدة وموضوعا موحدا لعلم واحد، لأن الشهادة ظلت لصيقة بالتوثيق ملازمة له حتى سمي الكاتب بالعدل بالموثق الشاهد، وقد أثنى الفقهاء المسلمون على الكاتب الشاهد ونقصوا من قيمة الكاتب غير الشاهد قال ابن برزي (إن من لايشهد من الكتاب لايقصده أحد بالكتب وإن كان يكتب ويشهد يقصده الناس ويملون إليه)وانشد بعضهم:

سوق الوثيقة عند قوم نافق
وأنا أعالج منه سوقا كاسدا
لاخير في كتب الوثيقة وحدها
لا إذا كان الموثق شاهدا

(ورد النص والبيتان في كتاب: اللائق لمعلم الوثائق لاحمد بن الحسن بن عرضون)

من هذا المنطلق اعتبرت الوثيقة العدلية حجة رسمية وشهادة حاسمة نالت الاحترام والتقدير من علماء المسلمين وعامة الناس، لأن خصوصيتها التشريعية أكسبتها القوة الإثباتية فحكم بها القضاة واحتكم إليها المتقاضون وحازت فضل السبق في استقرار المعاملات وحفظ الحقوق. وقد كان المشرع المغربي عبر التاريخ يوليها حظها من التنظيم ولا يبخسها حقها من التعديل كلما دعت الحاجة إلى ذلك أو قضى الوقت بتغيير بند من بنود قانونها حيث صدرت في شأنها ظهائر عديدة نذكر ظهير 1982.1944.1938.1924.1916 هذا بالإضافة إلى مراسيم ومنشورات وزارية تكميلية، كما كان القضاة العلماء عبر تاريخ التوثيق الشرعي بالمغرب في مقدمة المدافعين على الوثيقة العدلية والمنادين بتطويرها والعناية بشؤونها وإسناد مهمة توثيقها إلى الكفاءات المتميزة من خريجي الجامعات والمعاهد العليا ضمانا لاستمرار إشعاعها الحضاري وحفاظا على الخصوصية المغربية. غير أن المتتبع للمراحل التي مر بها قانون تنظيم خطة العدالة بالمغرب يلاحظ أنه في الفترة مابين سنة1983 إلى سنة 1995 كانت هناك رغبة أيجابية عند الوزارة الوصية في النهوض بالخطة وتحديثها وذلك بسن قانون مباراة الولوج إلى سلك العدول والحد من التعيينات المباشرة بالنسبة للحاصلين على الإجازة في الشريعة والدراسات الإسلامية، وقد استبشر خيرا بهذا التوجه كل الغيورين على هذه المهنة ومستقبلها إلا أنه سرعان ما انقلب السحر على الساحر وظهرت المفاجآت والعجائب وتحول المدافع إلى محارب وصارت الرغبة الايجابية نظرة سلبية وبدأنا نقرأ ونتصفح مقالات تستهدف الوثيقة العدلية وتروم الإنقاص من قيمتها والإقلال من حجيتها، ناهيك عن التقارير السلبية التي يبعث بها بعض قضاة التوثيق إلى المسؤولين والتي غالبا ماتحمل في طياتها صورة قائمة عن العدول وشحنة انتقامية تبرر متابعتهم قضائيا للنيل من كرامتهم وعز مهنتهم، مما أثر سلبا على سمعة التوثيق العدلي فبادرت الوزارة الوصية بموجب ذلك إلى جعل الزواج بيد القضاء وعملت على تقييد حرية الخطيبين اللذين أصبحا ملزمين بالمثول أمام المحكمة للحصول على لإذن لتوثيق عقد زواجهما على الرغم من الصعوبات والتعسفات المصاحبة لذلك.

وتجدر الاشارة إلى أن العواقب الوخيمة والنتائج الخطيرة التي تترتب عن تلذذ الرئيس بأخطاء المرؤوس وتشفي الحاكم بزلات المحكوم لاتتوقف خطورتها عند الإجهاز على مكتسبات العدول وسحب الثقة منهم، وإنما خطورتها تجاوزت الدائرة المذكورة إلي دائرة وقوع جهاز القضاء الشرعي برمته فريسة حية بين مخالب الضرغام العلمانوي الذي بات يخطط ردحا من الزمن ويتحين الفرص للإجهاز على ما تبقى من المؤسسات الدينية في المملكة السعيدة وإطفاء شمعتها مستغلا الخطاب السياسوي الوقح ومتسترا وراء المشروع الديموقراطي النبيل، فانتهز الفرصة وضرب على الوتر الحساس وأصاب الهدف وصارت مؤسسة التوثيق الشرعي اللقمة السهلة المستساغة للضرغام الشرس الذي يريد الانقضاض عليها لكونها مؤسسة شرعية تستمد أصولها ومقوماتها من الشريعة الإسلامية، ولعل الوزارة الوصية متهيبة من نظرة العلمانويين الفرانكفونيين إلى خطة العدالة نظرة التحقير والازدراء الذين يعتبرونها مؤسسة تقليدية تعرقل مسيرة التحديث ولا تساير المستجدات، متجاهلين إلحاح الهيئة الوطنية لعدول المغرب على ضرورة النهوض بهذه المؤسسة وتحديث آلياتها. لكنها للأسف لم تجد الأذان الصاغية وكأن عقول العدول غير قادرة على استيعاب قانون الشركات والأعمال مع أن مجرد دورات تكوينية معدودة يتم خلالها التركيز على تزويد العدول بالتقنيات التوثيقية الحديثة من شأنها أن تساهم في تحسين وضيعتهم وترفع من مستوى أدائهم المهني فتصير مؤسسة التوثيق العدلي النموذج الأمثل والسبيل الأعدل لتوثيق الحقوق والتصرفات.

ويبدو أن هيئة العدول في عرضها لمطالبها على الجهات المسؤولة وفي خوضها للمعارك من أجل البقاء تحاول إقناع من لايريد أن يقتنع بأن عائق التحديث لايكمن في عجز العدول على استيعاب قوانين العصر بقدر مايكمن في رغبة التيار العلمانوي الحاقد على المهنة في استئصال المؤسسات ذات المرجعية الإسلامية بعد نعت المدافعين عنها والمهتمين بشأنها بالاستغلال النقابي من أجل التسييس، واتهامهم بالتحريض ضد قانون مدونة الأسرة، وجوابا على هؤلاء أناشد القراء الكرام أن يرددوا مع السادة العدول قول الشاعر:

شكونا إليهم خراب العراق
فعابوا علينا شحوم البقر
فكانوا كما قيل فيما مضى
أريها السهى وتريني القمر

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت »

■ لا يعتبرمصطلح « النظر» في القرآن الكريم بمثابة وضعية جامدة مرتكزة على قراءة ما هو واضح للعين، وإنما يشمل التفاعلات الداخلية للأجسام المشاهدة حسب أبعادها مع حركة المخلوقات في الزمان والمكان.

ولفهم طبيعة هذه الأطروحة، نقوم بإجراء حوار مباشر مع ما نص عليه كتاب الله عز وجل، والمتمثل في التقابل بين العقل من جهة، وديناميكية واحات الكون التي تعتبر المشهد الصادق للوجود من جهة أخرى.

إننا حين ننادي بإعادة التفكير والنظر والبحث في القرآن المكتوب، نكون بصدد توجيه فكر الباحث عن الحقيقة إلى بؤرة المرجعية الحقيقية التي تضم كل حقائق الكون العلمية الثابتة.

في هذا الإطار حاولنا دراسة توجهات تعاليم السماء السمحاء، مبتدئين بالآية الكريمة :

«أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » (الغاشية. 17)

ولاشك أنه عندما انفرد رب العالمين بهذا المخلوق الذي يتفرد بصفات مميزة، وربطه بمصطلح «النظر »، فإنه بذلك يكون بصدد دفع الفكر البشري إلى التفكير والاستدلال، عكس ما شاع عند الإنسان عندما حصر عملية البحث عن الحقيقة في المشاهدة والتجربة العلمية فقط (كما فعل Francis Beacon، في عصر النهضة الحديثة باسم المنهج التجريبي). فما هو هذا المخلوق إذن ؟ ولماذا ارتبط بمصطلح « النظر» ؟

بادئ ذي بدء، يعتبر الجمل، الحيوان الوحيد الذي لم يهتم به كثير من الباحثين على جميع أصنافهم ومعتقداتهم. ولقد ظل هذا الحيوان يقاوم في منطقته رغم الظروف المناخية الصعبة، الجفاف أو التصحر والتقلبات المناخية، أهلكت العديد من الحيوانات، وكانت السبب كذلك في انقراضها.

فما هو إذن هذا الحيوان ؟ وما هي طبيعته وخصائصه؟

إذا قمنا بدراسة شاملة لفيزيولوجية الجمل، وجدناه . حسب آراء بعض العلماء . ينقسم إلى نوعين :

1 . الجمل ذو السنام الواحد، وهو الجمل الذي يعيش في إفريقيا، والسعودية، والمناطق الجرداء .

2 . الجمل ذو السنامين وهو الذي يعيش وسط آسيا، الصين وروسيا.

وعلى سبيل المثال : إذا أخذنا الجمال العربية وجدناها نوعين :

أ . جمال السهول والوديان، حيث تكون نوعيتها البيولوجية كالآتي :

الحجم : ..... ضخم
العنق : ..... طويلة
الأفخاذ : ..... منحدرة
الأقدام : ..... بيضاوية . ناعمة
الفروة : ..... قصيرة . ناعمة

ب. جمال الجبال

الحجم : ..... صغير
العنق : ..... قصير
الأفخاذ : ..... ممتلئة
الأقدام : ..... مستديرة، خشنة، صلبة
الفروة : ..... طويلة، خشنة

أما فيما يتعلق بأماكن الاختلاف الموجود بين الجمل وبقية الحيوانات الأخرى، فإنه يمكننا تلخيصه في النقط الآتية :

1 . الاجترار : يجتر الجمل، ولكنه لا يصنف مع الحيوانات المجترة، لأن له معدة مؤلفة من ثلاث غرف، أما باقي الحيوانات المجترة، فإنها مشكلة من أربع غرف.

2 . المرئ : ينفتح المرئ . عند الجمل . في الكرش عكس المجترات.

3 . السنام (كرة الظهر) : يكون سنام الجمال عبارة عن نسيج ليفي وذهني، أما سنام الأبقار فإنها مشكلة من نسيج عضلي.

4 . الجلد : يغطى جسم الجمل بجلد محكم، بحيث لا يترك الجلد في الجمال، عكس الحيوانات الأخرى.

5 . الجهاز التنفسي : للجمل أنف طويلة، وفتحتان عبارة عن شقين مائلين يمكن له فتحهما وإغلاقهما ليتحاشى دخول الرمال الترابية، وهي صفة خاصة ينفرد بها الجمل.

6 . الشفة : مشقوقة واللسان خشن من أجل مضغ النباتات الصحراوية الإبرية.

7 . الطاقة الحرارية : تختزن الجمال حرارتها أثناء النهار لتجنب فقدان العرق، أما الحيوانات الأخرى فإنها تدفن نفسه في التربة.

8 . الرجلان : في الحيوانات ذات الأظلاف، فإننا نجد أظلافها كبيرة وصلبة عند الجمل، إذ كل واحدة من إصبعي القدم بظلف صغير يشبه الظفر، بينهما يلتصق الأصبعان حتى تصبح القدم صفا واحدا يغلفه جلد قوي غليظ، يضم وسادة عريضة لينة تتسع عندما يدوس الجمل به فوق الأرض، وبذلك يستطيع السير فوق الرمال الناعمة.

9 . الكبد : لكبد الجمل فصوص كثيرة ولا يوجد به حوصلة مرارية (عكس الحصان والحيوانات الأخرى).

10 . العطش : مما يلاحظ الإنسان في الحيوانات هو عدم تحملها للعطش، أما بالنسبة للجمل فإن تحمله للعطش في المناطق الصحراوية كبير، إذ أنه يشرب مرة واحدة في سبعة أشهر (الجمال الصومالية نموذجا). فما هي فنون اقتصاد الماء عند الجمل إذن؟

لقد منح الله لهذا المخلوق الذي يعيش في بيئة قليلة المياه، طريقة لاقتصاد الماء، وذلك :

أ . بجعله لا يتنفس من فمه حتى يوفر بخار الماء.

ب . أعطاه الجلد بشكل لا يجود إلا بقدر بسيط من العرق.

ح . قليل الإخراج.

د . عندما يفقد الجسم الماء، فإن ذلك يكون من أنسجة الجسم لا من دمه، كما هو الحال في الحيوانات الأخرى.

هـ . التوازن مع المحيط الخارجي :

نعلم جميعا أن الحكمة في العرق الذي يفرزه الجسم، هي من أجل تبريد الجسم، فيقوم الجسم بفرز العرق حتى يبرد، وهذا يتطلب ماء زائدا، نظرا لنقصان الماء الموجود داخل جسم الحيوان.

أما الجمل، فإنه يحافظ على التعادل الحراري بين جسمه والوسط الخارجي، وذلك بتسخين جسمه، حتى يتكافأ مع الوسط الحار، فيؤدي ذلك إلى عدم إفراز العرق.

وفي الليل، يقوم جسم الجمل بطرد الحرارة حتى يدفئ جسمه (عملية التدفئة)، فيحصل التوازن بينه وبين الوسط الخارجي.

وخلاصة القول، إن العملية الأساسية عند الجمل، هي الحفاظ على التوازن بين جسمه والمحيط الخارجي من جهة، وجسمه والحفاظ على الطاقة من جهة أخرى.

وهكذا تكون درجة الحرارة :

أ . في النهار : يعمل على رفع درجة حرارة جسمه إلى نحو 40 أو 40,7م، مما يقل الفارق بينه وبين حرارة جسمه، وبالتالي فإن جسمه لا يحتاج للماء.

ب . في الليل، فإنه يقوم بتسريب هذه الحرارة الزائدة إلى الجو، فتنخفض درجة الحرارة إلى 24 م.

بالإضافة لذلك يعتبر الجمل، الحيوان الوحيد الذي يشرب من ماء البحر، لأن الكلية تقوم بالتركيز المطلق والإقلال من كمية البول.

ثم إن سنام الجمل يعطي الماء ولكنه لا يختزن الماء، إذ عند الجوع يتأكسد ما يحتويه السنام من عنصر الهيدروجين بالأوكسجين لتوليد الطاقة، وينتج مع هذا التأكسد بعض الماء.

و . الأنف : لقد منح الله لهذا الحيوان أنفا عجيب التركيب، إذ يقوم نهارا بالحفاظ على الماء أثناء التنفس، لأن بطانة أنفه الداخلية مجعدة، ومساحتها واسعة ، وفي الليل تمتص البطانة رطوبة النفس الخارجة، حائلة بذلك دون خروج الماء (أي أنه يستعيد الماء الموجود في هواء نفسه)، وبهذه الطريقة، يكون الجمل قد احتفظ على نسبة عالية من الماء تصل إلى 70%، مما تحمله أنفاسه من ماء.. فيمتص الدم من الماء شيئا فشيئا، وعندما يركز البول كثيرا، يعود الدم فيأخذه للمعدة، وفي هذه الأخيرة، تقوم بعض البكتيريا التي تعيش فيها على تحويل البولينا إلى أحماض أمينية أي إلى بروتينية + ماء. فهل هذا التدبير المحكم في هذا الحيوان لا يستحق الذكر، وهل هو الوحيد؟

ذلك ما نطلب من أهل الشواهد الأكاديمية العليا، والنفوس الطيبة، أن يبحثوا وينقبوا من أجل إظهار حقائق أخرى في هذا المخلوق، الذي يعتبر سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1068
السنة37
الجمعة 24 ربيع الاول 1425 هـ
الموافق 14 ماي 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالجامع الأعظم بتازة

الحلقة الأخيرة

■ الدكتور عبد الرحيم العلمي

■ وكما يظهر من طبيعة العمل، لقد اجتهدنا في الالتزام بالقواعد العامة لفهرسة خزائن المخطوطات، مع الحرص على المواصفات الأكثر دقة وعلمية في مجال العمل الكوديولوجي، وذلك من خلال:

أولا: وضع بطاقة تشخيصية فنية لكل مخطوط، تدون جميع معطياته الوصفية، بدءا بعنوان الكتاب، فاسم وتاريخ وفاته أو تاريخ الفراغ من التأليف إن أمكن ذلك، ثم نبذة من أوله وآخره، فمقاسه (نعني به مقاس فضاء النص المكتوب)، فعدد أوراقه، ومسطرته، ومعدل كلمات السطر.

بعد ذلك ننتقل إلى وصف نوعية الورق، وحالته، ونوع الآفة العارضة له من أرضه أو رطوبة أو بلل أو تمزيق بفعل كثرة التداول أو غير ذلك، وما لحقه من ترميم أو استدراك وما إليه.

ثم ننتقل إلى الخط، بتحديد نوعه ومستوى جودته أو رداءته وطريقة كتابته وزخرفته وتمييز رؤوس ومقاطع الكلام فيه...

أما الناسخ، فإن تمكنا من التعرف عليه، نذكر اسمه ونسبه وكنيته مع الإشارة أحيانا إلى من انتسخ الكتاب لأجله. ومن لم نتعرف عليه بسبب التلاشي أو البتر، نسمه بعبارة: "غير معروف"، أو : "غير مقروء" إن كان اسمه مكتوبا بطريقة التوقيع أو متداخلا بعضه ببعض أو غير ذلك. أما إن كان الكتاب تاما سليما من كل الأعراض والآفات، فمعنى ذلك أن ناسخه قصد السكوت عن اسمه قصدا، وآنذاك نسمه ب: "غير مذكور". وكذلك الأمر بالنسبة إلى تاريخ النسخ.

وذيلنا ذلك كله وقفنا عليه وأمكن تدوينه من ملاحظات تتعلق خاصة بالمعطيات والوثائق الجانبية الموازية أو المصاحبة التي أسميناها "الوثيقة المؤرخة لحركة تداول المخطوط" بجميع ماتشتمل عليه من قرائن وصيغ وإشهادات، للتحبيس والتمليك والإعارة، القديمة منها والحديثة، ومن إجازات وسماعات وروايات ومناولات، ومن طرر وحواش وفوائد وتعليقات وتقييدات وتصحيحات ومقابلات، وغير ذلك، إضافة. طبعا. إلى مايكون قد تعرض له المخطوط من بتر في أوله أو آخره، أو انفراط تام لأوراقه، كما وجدنا في عدد كبير من الأسفار التي اجتهدنا في لم شتاتها وإعادة ترتيبها قدر الإمكان استنادا إلى ما اصطلح على تسميته ب "الوصلة" أو "التعقيبة" أو "الرقاص"، واستئناسا بالسياق العام للنص... لكن يجب الاعتراف بأن ذلك لم يكن ممكنا في جميع الحالات بسبب ضخامة بعض الأسفار وتناثر أوراقها تناثرا كليا.

وثانيا: محاولة اختراق الوثيقة أو الكتاب المخطوط بجميع مستوياته، سواء منها ماتعلق بالنص المكتوب، أو الفضاءات الموازية له، أو غير ذلك مما يدخل في مجال اشتغال الكوديكولوجي.

فمعلوم أن جملة من المعطيات الجانبية التي قد لايلتفت إليها، كثيرا ما تشكل مؤشرات ذات دلالات في غاية الأهمية، إذ تكشف عن نمط التفكير والسلوك السائد في مرحلة بعينها، ونوعية الكتب التي يقع الإقبال عليها أو العزوف عنها، وغير ذلك. مثال ذلك ظهور أثر التلاشي على الطرف الأسفل من الورقة. بفعل كثرة التداول. في مصنفات دون غيرها، بينما تبقى أخرى سليمة من هذه الوجهة، إلا ما كان من فعل الأرضة أو الرطوبة. ومثال ذلك أيضا ظهور آثار التمسح والتقبيل على رسم الروضة النبوية الشريفة(انظر مثلا المخطوطات: 655.651.661).

ومن ذلك أيضا أصحاب مصنفات بعينها، أو توثيقها بسماعات وروايات لها عن الشيوخ، أو مقابلتها على أصول موثقة على درجة عالية من الصحة، أو كثرة التطرير عليها بالتعليقات الفوائد والتقييدات. ومعلوم أن ذلك كله مما يرفع درجة صحة النسخة ووثوقيتها على كل حال، يقول الإمام الشافعي: "إذا رأيت الكتاب فيه إصلاح وإلحاق، فاشهد له بالصحة".

بل إن بعض النساخ كانوا يحرصون أحيانا على سرد: "سند النسخ" بدقة متناهية. فقد وردت مثلا الإشارة على مخطوط الجزء الخامس من كتاب:"التبصرة"للخمي، إلى أن السفر انتسخ على يد مالك بن عبد الرحمن اليازغي، وأن هذه النسخة تمت مقابلتها عام 900هـ، على نسخة أصل تمت مقابلتها في 4 رمضان 518هـ، على نسخة أصل نسخت عام500هـ.

ولعل من طريف مايحسن ذكره في هذا السياق تقييد. لعله بخط بعض العلماء. ورد بطرة ظهر الورقة الأولى من مخطوط: "كفاية الطالب الرباني" للمنوفي، يشتمل على فتوى لمقيده بتحريم مطالعة هذا السفر، وبوجوب إحراقه أو إغراقه، بسبب ما أصابه من تحريف وتصحيف بيد الناسخ.

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

ولابد من الإلماع كذلك رلى أن عملنا كان بالأساس موجها إلى فهرسة مخطوطات الخزانة، مما قد يعني للوهلة الأولى أن المطبوعات الحديثة والمطبوعات الحجرية ليست على شرطنا.

غير أن ذلك لم يكن في واقع الأمر ممكنا لاعتبارات ثلاثة:

1. أولها: أن هذه المطبوعات (بصنفيها) مرتبة على الرفوف، وتحمل أرقاما ضمن الترقيم المسلسل العام لمحفوظات الخزانة، فلم يكن من الأنسب. على سبيل الدقة والأمانة العلمية. غض الطرف عنها.

2. وثانيها: أن معظم هذه المطبوعات في حكم المخطوط لندرتها، إذ طبعت في مرحلة متقدمة كان فيها العمل بالخط لايزال جاريا بالمغرب. وقد نجد من المخطوطات ما تم نسخه أو حتى تأليفه بعد ذلك بعقود.

3. وثالثها: وهو المطلب الأساس بالنسبة إلينا، أن معظمها أثبتت عليها صيغ وإشهادات وقفية خطية، بعضها سلطاني، وبعضها بخط بعض أعلام المرحلة، أو بخط مؤلف الكتاب نفسه، مما يجعلنا نصنفها ضمن إطار: "الوثيقة المخطوطة" بمفهومها العام، فلا يصح لذلك إغفالها بحال. وقد أمدتنا بعض هذه الوقفيات فعلا بمعطيات تاريخية على جانب كبير من الأهمية.

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وقد استدعى الترتيب الحالي غير التصنيفي لمواد الخزانة إعادة النظر في ترتيب البطاقات التشخيصية الخاصة بالمخطوطات، بقصد الحفاظ على اللحمة الموضوعية، والتسلسل المنطقي والأبجدي للعلوم والمواد.

فمعلوم أن المجاميع على وجه الخصوص قلما تتوفر فيها هذه اللحمة، إذ قد تحتوي أحيانا على مصنفات في علوم عدة، فتكون آنذاك في حاجة إلى إعادة تصنيف وترتيب وتبويب بقصد وضع كل مادة ضمن المجموعة المناسبة، الشيء الذي استدعى كذلك أن توضع لها أرقام تسلسلية جديدة بحسب موضع كل منها ضمن مصنفات العلم الذي تنتمي إليه، بينما حافظنا داخل الخزانة على ترتيب المخطوطات وترقيمها كما هو على الرفوف.

وبهذا المعنى يكون:

. الرقم التسلسلي:دالا على الرقم الإحصائي للمصنفات الواردة في الفهرس.

. رقم المخطوط: دالا على رقمه المثبت عليه داخل الخزانة.

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وبقصد إعادة ترتيب بقية المعطيات، وتسهيل تداولها، ذيلنا الفهرسة بكشاف عام مفصل على شكل فهارس، ويشتمل على:

. فهرس المصنفات المخطوطة، مرتبة بحسب العلوم، ثم بحسب التسلسل الأبجدي.

. فهرس الإجازات والسماعات المخطوطة.

. فهرس الحوالات الوقفية المخطوطة.

. فهرس المطبوعات الحجرية.

. فهرس الكتب المطبوعة.

. فهرس أسماء المؤلفين.

. فهرس أسماء النساخ.